الغـــــــد

هو موضوع اغرتني به انشودة وجدت سبيلها الى اذني في مناسبات عارضة ، كانت تطيف وتتردد خلالها على فم طائفة من الفتيان او فوق الفتيان ممن تحاول الطبيعة الحية ان تقفز بهم الى القمة ٠٠ قمة الشباب

هي انشودة وان تكن تبشر بالغد ، وان يك للغد في عقل اغلب الشرقيين معنى مشوه مظلم كله تواكل وعجز واستسلام ، وان اكن اكره هذا الغد في اسلوب تفكيرنا الموروث ، فقد مستني بتيار حيوية جديد التحسسه في وثبات الخيال المتطلع ، ومـدت اعصابي بقوى جديدة حتى كأنما صنعتها صنعاً فذاً وارتجلتها ارتجالاً مبتكراً ، واخيراً رأيتني تحت هذا الاحساس معنياً بدرس الغد ٠

تقرر فلسفة الحضارة في غير ما ريب او تردد ، ان فكرة الغد مذ اخذت محلها من عقل الانسان ولابست تفكيره ، قادت خطاه في طريق الانشاء الحضاري وقدمت منه هذا الانسان المتفوق الراقي ، هذا الانسان المبتكر الخلاق ٠ ولولاها لظل الانسان في مستوى النوع كائناً آنياً بسيطاً ونموذجاً من التكرار ، فقد مدته بالامل وايقظت فيه شتى الاماني وانشطته الى تحقيقها ، واخيراً اشعرته بـلذة الجهد فأقبل يعمل وقد تنبهت فيه شتى الاستعدادات فغدا الانسان كائناً مدهشاً ونموذجاً من التجدد المتصاعد ٠

فكل ما قد اعطى هذا الانسان من تفوق ، وما قد رسم من نبوغ ، وما قد تفتق عنه من حضارات ، وليد فكرة واحدة تلك هي فكرة الغد فقط ٠ فكانت لذلك في اعتبار فلاسفة الحضارة نقطة تحول خطيرة فارق فيها الانسان النوع ومما عليه ، كما ظلت لديه عامل اغراء وانشاء وتجديد ٠

اذن فكل حركة تقدمية انمـا تنبع من فكرة الغد وترتكز عليها ، والمستقبل التقدمي انما هو للجماعات الاكثر تطلعـاً على نهجها والاوسع خيالاً في مذهب امتدادها ٠ وعليه فان فكرة الغد ضرورة حيوية او نشوئية ، وتصحيحها ضرورة بقائية او ارتقائية ٠

ولعل اكبر عاهة تصيب اسلوب الفكر ثم تتجاوزه الى الحياة والاجتماع والادبيات فتجعلها عقيمة غير منتجة ، هي انطفـاء فكرة الغد وما لها من حرارة محركة ، وسط تصورات فاشلة من اوهام التواكل والعجز والاستسلام ٠ ولذا بت ارى ان اول واجب على اولئك الذين ينشدون النهضة ويبثون رسالتها ، هو تصحيح فكرة الغد كي تقوم بعملها وتدفع كائننا الى حيث يمتد بـه خياله المبتكر ، وبذلك يشارك في مواكب التقدمية ويزود حركتها بطاقات حيويته ، ويقوم بدوره المفروض في حقل الجهد الانساني والا فقد رسب والى الاغوار في انحدار سريع ٠

ان الغد بين ان يكون وليد الامل الواعي ، وبين ان يكون وليد الامل الحالم ، واذا كان للثاني ان ينتج كائناً محتضراً رخواً ، فانه يعجز ابداً عن ان ينتج كائناً حياً مستوياً ٠ وهو اذا قدم موجوداً صوفياً تساب فيه الوجود ، فانه يعجز دائماً عن ان يقدم موجوداً خلاقاً تصالبت فيه الحياة والوجود ٠ فان حظ الامم من البقاء بمقدار ما يكون لفكرة الغد عندهم من حظ ، وان قيمة فكرة الغد بمقدار مـا تكون وليدة الامل الواعي وليدة الامل المفكر ، وبعبارة اخرى وليدة الارادة الواعية ٠

ان التقدميين يفهمون في الغد : انه فكرة من الحاضر اكثر كما لا تتجسد في اعتبار زمني ، وعناصر الحاضر هي : فكر ، ارادة ، جهد ٠ وهذا يعني ان اي فرد او اية جماعة اذا لم تدخـل الى صميم الغد — وهو بعد جنين في ضمير الزمن — بالفكر والارادة والجهد يكيفه بها ، فليس له غد مطلقاً اذ لم يبق له منه سوى الاعتبار الزمني فقط ، وخسران الغد معناه هبوط الحياة عن مستواها بل خسرانها ٠ ان النجاح مرتكز على اشتقاق الغد المنتظر من اعذب فكر وامضى ارادة واقوى جهد وبذلك لا ننتظر الغد أملاً بل واقعاً ولا نتكهنه بل نفرضه ولا نتخوفه بل نجتذبه ، فقد وضعنا تصميمه ويجب ان يجيء في حدود هذا التصميم ٠

وكلما استوت ارادة الغد على وضعها الاكمل لدى الفرد او الجماعة ، فقد اتسقت الخطوات مع وجهة الحياة الصاعدة وفي اتجاهها ابداً ٠

عبدالله العلايلي

رافايل

بقلم قيصر الجميل

●

روما غارقة في خضم من الاحقاد السياسية ، تجتاحها الحروب ويخيم عليها الرعب ، فتظل بمعزل عن البعث الفني ، الذي نشأ حلال القرنين الثالث والرابع عشر ، في فلورنسا والبندقية .

لمع في افق الفن الفسيح نجوم ثلاثة ، ليوناردو ، ميكلانج ، ورافايــل ، يتنقل الاول في عوالم الفكر والفن ، ويخلق الثاني الجبابرة في كنيسة سكستين ويستخلص اصغرهما سناً الفلسفات اليونانية والمسيحية وينظمها اناشيد ملونة .

اطل رافايل على الدنيا ليلة الجمعة في البلد المتعبد (اوربن) جاء وملء راحتيه زنابق وورود يزرعها في حقول العقول فيعطر اجواءها ، ويترك الى العالم خلال اثنتي عشر سنة اروع وانعم ما تركته انامل انسان .

ولد رافايل تحت نجم سعيد يقول ميكلانج ، ولد بعد قرنين من بدء حركة فنية فلسفية جعلت من اللازم وجود شخص منتخب محظوظ يمكنه تبني انبل مختلف النزعات واخراجها الى العالم نموذجاً اكمل للجمال . ومن نعم الطبيعة عليه جمال، وذكاء ، ومرونة ، ثم معرفة بادق اسرار المهنة ، حتى الحظوظ سخرت لايصاله الى الخلود ، الى المجد والثروة ، بهدوء وانتظام ، فسير حياته المتزن ليس له ضجيج سير النبوغ .

ان اهم مزايا فن رافايل التي حملت بدون ملل خلال العصور شهرته العظيمة ، وعملت منه الفنان الاكثر شعبية ، والمستحق اعجاب العالم — هي الجمال ، جمال الاشكال النقي الكامل ، جمال كامن في التوقيع ، في الاتزان ، في اللون ، في التحقيق ، جمال منظم من دماغ منظم ، من يد ، لا تخطيء ، جمال نحبه ونستلذه دون جهد وعناء .

ان مهمة الفن هي امكان التعبير عن الاحاسيس فلوحة تقليدية لا تفضح شيئاً من احاسيس خالقها ، لا تمثل عملاً فنياً ولو مثلت موضوعاً هاماً ، والانسان يميل الى عدم فصل الفن عن الجمال وهذا ما يبرر اعجاب العالم وحب الاجيال لرافايل الذي لم تصور ريشته سوى الجمال الكلاسكي مع قوة في الخلق وبراعة في التأليف هما سر نبوغه ، فانت تستنشق الهواء امام لوحاته بحرية

العذراء — في متحف دزوفيس

الالوهة على الارض فامتزجت بالناس وشاركتهم الحياة .

« قال غوت يصف عذراء سيكت » هي مثال الامهات ، ملكة النساء ، خلدتها ريشة سحرية بلذة ونعمة ، ينحني امامها الرجل وهو يرتعش بالرغم من كبريائه .

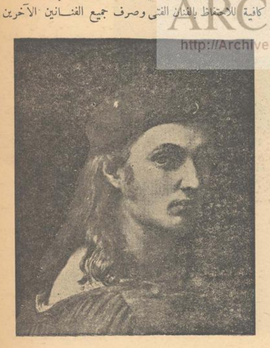
لربما كان رافايل استلذ الحياة الهانئة في فلورنسا لو لم يفتح له ابن بلده البناء برامانتي اجواء افسح ، فقد ادخله في خدمة البابا يوليوس الثاني الذي عرف بالرغم من ثقافته المحدودة ان يجمع حواليه كل القوى العقلية الايطالية .

اعظم حدث في حياة الفنان الشاب ، للفن وللانسانية . كان ميكلانج يسكن جبابرته كنيسة سكستين عندما بدأ رافايل عمله في قصر الفاتيكان ، حقبة سعيدة في تاريخ البشرية ، لم تعرف الروائع يوماً مثل هذا الازدحام فهي تركض في الشوارع هانئةً ناعمة بين خرائب روما العتيقة وبين اناس مثقفين يسيطرون على روما الجديدة عاصمة الكثلكة والمدنية الحديثة ، يتصارع فيها الفنانون على اكليل الغار ويتسابقون على الخلق والابداع .

دخل رافايل قصر الفاتيكان مساعداً لجيش من الفنانين لكن نظرة من يوليوس الثاني المرهف الحس الصائب النظر كانت كافية للاحتفاظ بالفنان الفتى وصرف جميع الفنانين الآخرين



رافايل ، بريشته — في متحف دزوفيس



دي بندو التوفيتي — في متحف ميونيخ القديم

وطمأنينة ، وتحس الاثقال تنزع عن صدرك ، وتشعر بطراوة عطرة ، وتنقل الى اعذب الاماني ، الى جو موسيقي حالم يذكرك بشقيق روحه موزار ، وبثقة لا تخونه ، وبأبسط الوسائل ، يخلق بتآلف عجيب وعبقرية نادرة ، الفكرة ، والشكل ، والاحساس .

ان رافايل اصدق ممثل لاكبر حركتين اشعلتا خيال اوروبا المتمدنة ، الكلسيكية اليونانية والمسيحية ، امتزجتا بدماغه وعاشتا شقيقتين في رسومه ، لم يعش مع افلاطون ولكنه عاش بين تلاميذه ، وصب دماً جديداً في عروق اثينا وروما ، فحقق اعجوبة الامومة الرائعة ، واصبحت فينوس وكوبيدون الامس بين انامله مريم ويسوع ، وتحول جوبيتر روما ، بخيال حزقيال الى يهوه .

تأثر رافايل باراء اعمق مفكري العصر ، فنبذ النظريات التقليدية وبدلاً من عذارى بيزنطية القاسية ، برزت عذارى رافايل صبايا تبسم لاطفالها ، يلف شعرهن الاشقر ، غطاء رقيق شفاف ، يزيدهن جمالاً ، ثم لا شيء غير ذلك ، لا شيء سوى كل احساس نفسه ، وكل غنى ريشته التي لطفت الاوضاع وازالت قسوة العقائد ومحت الرعب الذي تسلط على القرون الوسطى ، وبكلمة ، أنزلت

واصدار امره بابادة كل ما صور بغير يده، لكن ادب رافايل كان يوازي عبقريته فلم يسمح بنزع تصاوير معلمه البروجين، وصديقه سودوما وفي هذا الجو الجديد الرفيع، وبين ذكريات تاريخية ودينية، وبين بدائع الفن الكلاسيكي وجمهور الانسانيين الملتفين حول يوليوس الثاني، وجـد رافايل غذاءً مشبعاً لدماغه وقلبه فاتسعت آفاقه وطبع نبوغه بطابع من نور ذابت في ظلاله كبرياء فلورنسا واسترجعت روما باناملة الملهمة لقبها عاصمة العالم.

ان الصور التي ازدانت بهـا قاعات الفاتيكان هي ادهش انفجار لعاطفة دينيـة خلدها اللون، فكل ما يحده الخيال من اشكال الايمان، تسليم واقتناع تصوف وانتقال، تعطش الى التضحية، صورت باوضاع مبتكرة ولم يعط الانسان من قبل، ان يتخيل الخـلاصات والنتائج باكثر وضوح، ولا اشخاصاً اكثر عزة واكثر جرأة، ولا تزييناً اكثر جدة واكثر حركة فالناظر الى هذه الصور يخطف في اجواء من الاثير بعيداً عن مشاكل الارض.

البابا لاون العاشر بين اثنين من الكرادلة في قصر بتي

تمكن رافايل ان يجمع الى عمق دافنسي زهوَ بول فيرونيز، وثقة فيلاسكيز، ومن هـذا المزيج استخلص لا اعرف اي شيء الهي يجعلنا ان نشك بما لو كان امـام اعيننا صوراً حقيقية ام اشباحاً تكلم عنها دنتي وفيرجيل، اشياء حلوة كالطفولة، والازهار، شفافة يخترقها النور فلا تحدث ظلالاً — اشياء فوق الانسان ...

من خالق هذه البدائع؟ أهذا الفتى الناعم الحالم، النحيل البشوش ذو العينين العميقتين؟ أهو خالق هذا الحلم الرائع ومحقق هذا العمل الجبار؟ كلمات نطق بها ليوناردو امام مدرسة اثينا واخواتها.

لم يكتف البابا الشاب لاون العاشر الواسع الثقافة برافيل مصوره الخاص، بل اراده مسيطراً على الفنون، فطلب اليه خلق رسوم لاعمال الرسل، ستائر لكنيسة سكستين، فاصبح شرح رافايل لهذه الآيات ملازماً لها وهنا وضع معلم الاناقة الاكبر نفسه بين المتضعين، ووجـد التعابير الـلازمة ليفتح بصوره قلوب البسطاء.

كل شيء ساهم في تكوين شخصية رافايل فقد حصل في ايامه وعي حضرته الاجيال السابقة فـازدهرت المسيحية ونضجت الافكـار الفلسفية وتكون في النفوس شوق لعبادة الجمال باسم الدين فلمع ذكاؤه المولد واحساس روحـه المباشر وبـدل بالسذاجة التقليدية النبل والجمـال اضاف اليهما عوالم من التأثيرات: بالوان، كلها صفـاء وخطوط، هي اناشيد مرتعشة، واشياء اخر تجمع الشعر والموسيقى، الى كل مـا في قلبه من حب وحرارة، وفي نفسه من احساس، وفي ريشته من غنى.

ليس لهذا الفتى الناعم عمق ليوناردو ولا ثورة ميكلانج وحرقته لعجزه عن تحقيق المستحيل، فبين الحكيم الفيلسوف والخيالي الهائج، ظهر رافايل بنعومته الاومبرية وعرف ان يجمع في شخصيته خلاصة الفن والفكر كما عرف ان يحتفظ طيلة عمره بوداعته وادبه، بالرغم مما خلع عليه نجمه السعيد ونبوغه الناعم من

ادب الغـــــد

بقلم جاده غولبه

« منذ الفي سنة يكتب الناس ، وقد قالوا كل مـا يمكن قوله ، وجئنا نحن بعد فوات الاوان » . هذا مـا لحظه لابروير برارة في القرن السابع عشر .

ان ازدهـار الادب ، في القرنين التاسع عشر والعشرين ، اعطى الدليل القاطع على ان هذه الملاحظة خاطئة . واذا مـا صح القول في انه منذ الادب اليوناني الكلاسيكي ، لم يخطر موضوع في بال ، ولم يطرق من قبل ، وعلى الوجه الاكمل ، وان جميع المشاعر البشرية قد اعرب عنها ، احر بالقول ان الاحداث الكبرى التي بدلت وجه التاريخ ، قد فجرت في الوقت نفسه ، ينابيع القلق النفساني والمعنوي ، وهي معين لا ينضب من حيث ينهل الناس ادبهم . ان قيام الديانتين الموحـدتين المسيحية والاسلامية وانتشارهما أغنيا الحقل الادبي ، ان لم يكن بالحساسيات المستجدة فأقله بدقائق ابهام غريب ، لا حد له . وكذا كان عصر النهضة في الجيل السادس عشر ، ثم عصر الثورة الفرنسية ، اذ نشأت في كل اوروبا آداب فنية ، وطنية ، غنائية . ان حرباً ، هي على شيء من الاهمية ، كحرب ١٨٧٠ الفرنسية — الالمانية ، تفسر ، في كثير ، اسباب الادب « العاري » والادب المتشائم مع زولا وموباسان ، والشعر الرمزي الذي جاء خير رد على فظاعات تلك الحقبة .

شهرة وعظمة، ولم تكن حياته النبيلة سوى سلسلة من السعادات . كتب رافايل الى صديق عمره بلتزار كستيليوني يقول : اصارحك باني عندما اريد تصوير الجمـال النسائي احتاج الى رؤية كثيرات واحتاج اليك لتنتقي الاجمل .

لا نعلم اذا كانت فكرة تحقيق جمال فوق النماذج ظلت تصارع دماغ الفنان ام وجـدها في الفورزينا فكتب لها الخلود ، هذه الصبية التي اصبح كل بيت سكنته مزاراً وكل ارض قبلت قدماها ممجدة ، والعالم الى اليوم ، يتبارك بخبز فرن يحمل اسم الفورزينا — ويقرأ على مـدخل قصر قديم — هنا كانت تسكن تلك التي كانت اعز بنات الناس على قلب رافايل والتي بها بلغ قمة المجد .

تراكمت عليه طلبات لاون العاشر فصار يتنقل بين ريشة الفنان وازميل النحات وبركار المهندس ويخلق رسوم السجاد والستائر . ينظم الحفلات وينقش الآثار ويرسم المداليات مما اضطره الى الاكتفاء باعداد المواضيع وتسليمها الى جيش من الفنانين يشتغل بقيادته ثم يعود فيمسحها بريشته الملهمة هذه المسحة الالهية التي عرفت كيف تجابه التاريخ وتشيء مدرسة الفن الحديث ، غير ما كانت تنتجه انامله السحرية، في محترفه الخاص من مواضيع دينية ووثنية ، اساطير وحقائق تاريخية ، صور اشخاص اعزاء ، كل منهـا يستغرق حياةً بكاملها . فاذا به وهو بعد في السابعة والثلاثين ينشد اكبر قصيدة ويعطي الى الاجيال المقبلة خلاصة الاجيال الماضية بعبقرية ونضوج ظل العالم ثلاثـة قرون ينظر اليها كنظره الى اشياء الهية .

ومات يوم الجمعة الحزينة كأنه اراد ان يذوب بكاء العالم عليه في بكائه على ابن الانسان .

قيصر الجميل

فمن الاكيد اذن ، ان من الحرب التي بدأت سنة ١٩١٤ والتي تنقضي امام اعيننا ، من هـذه الحرب التي اسماها ديغول بصواب « حرب السنوات الثلاثين الجديدة » ستخرج موضوعات جـديدة من آداب كل بلدان المعمور . ما ستكون هذه الموضوعات ، هذا ما سأحاول بحثه ها هنا .

ان الطابع الذي ستتسم به اداب الغد هو الطابع العالمي .

ولقد شهد القرن التاسع عشر عهد ادب وطني ، (وهل هناك سمة ادب فرنسي اخص مما عند فلوبير ، او روسي اخص مما عند دوستويفسكي ، او انكليزي اخص ممـا عند جورج اليوت او توماس هاردي ؟) امـا انصهار جميع الامم في بوتقة محنة شاملة فسيكون من شأنه ان يلي على جميع هذه الامم انفعالات مماثلة ، وبالتالي آداباً متشابهة . ان غارة على فارسوفيا او على لندن ، على بلغراد او على ميلانو ، على برلين او على طوكيو ، لا يمكنها ان توحي سوى اهوال متشابهة ولا يمكن وضعها الا بتعابير متقاربة المعنى . والجوع والبؤس والتقنين والحرمان التي تنال بالسواء ، جميع الشعوب ، لن تختلف الوانها تحت ريشة رسام

ان انغماس العالم في الحرب المكانيكية سيحدو بالكتاب الى الاهتمام اولا بوصف الحركات الكبرى الاجماعية ، وقد بـدأ الكتاب الروس (من مثل غلادكو في مؤلفه « سيمنتو ») يعطون فكرة عنها . فمن الحرب العصرية ، اذن ، هذه الحرب التي تسحق المرء تحت ثقل الآلة ، سيخرج ولا شك ، عالم اجماعي . وسوف لا نرى في تحف الغد الادبية وصفاً لوقائع فردية ، بـل صورة حية المصنع والمعمل ، والبلدة والعائلة . وحيال هـذا الامر ، تعدّ حركة جول رومان في فرنسا نوعاً من الاستباق .

ان هذا الادب الاجماعي الموحى سيتميز بالحزم والشراسة وانشاد المجهود . واذا كانت السويداء داء الجيل حوالى ١٨٢٠ امكن القول ، ان عالم ١٩٥٠ لن تشوبه سويـداء . لن يكون هنالك ، من تلك المؤلفات الناعمة ، المزدانة ، الحلوة ، المنمقة ، بل ستكون كتب قوية ، ابتدائية ، عارية ، برسم العامة لا الخاصة وبرسم الاقوياء ، لا الادباء الناعمين .

وازاء هذه الحركة وبانفعال طبيعي ، ستسعى الجماعـات التي تأبى مماشاة شرعة السواد الاعظم الساحقة ، الى الهرب من وجـه عالم الشراسة لتلجأ الى المؤلفات المنمقة حيث تحـاول التثبت من شخصيتها . ومثل هذا ، حصل ، على وجه التقريب ، في اواخر القرن التاسع عشر ، عهد كان مالارمه وتلامذته يدفعون بمؤلفاتهم النادرة الناعمة ، بوجه انتاج الطبيعيين الفظ المبتذل .

ومن ادب الغزو اليوم ، اخذت فرنسا تعطينا مثلا عـديدة قيمة عن ازدهار ادبي عجيب بدأ ١٩٤٠ بظهور العديد من المجلات الشعرية والمؤلفات الغنائية حيث ينشد شعراء ، كانوا لأمس القريب نكرات ، احساسهم الذاتي ، على هـامش المأساة الاوروبية كانهم لا يبالون بما يجري حولهم . وبالاجمال ليس من واقعي ، في كل المجموعات الشعرية العديدة التي تظهر في فرنسا ، ليس من واقعي سوى الرغبة الحارة في التخلص من الواقع .

امن الضروري القول ان ادب الغد سيكون حزينا بصورة فاجعة . هو لن يكون حزينا ، على نمط السويداء الرومانطيقية ، بل سيكون يائساً ، متشائماً . في عالم الغد لن يكون مجال للفرح . وهذا ، قد مات نهائياً ، على غير امل البعث ، في اول آب ١٩١٤ . ومنذ هذا التاريخ الرهيب ، ولج العالم مرحلة تباسق شرس وسرعة لا انسانية ، لا تترك للعقل فترة اعتكاف وتأمل واغتباط .

ان اسباب السلوى اصبحت اجماعية . وهي تحطم الاعصاب اكثر مما تسر . يكفي القاء نظرة على قاعة سينما ، خـلال برهة الاستراحة او النظر الى جماعة حضروا مباراة رياضية . لقد تعب الناس من كل شيء ، وضجروا واصبحوا مضطربي المزاج ابداً . هم يرزحون ، حتى تحت عبء اسباب التسلية . وتقض مضاجعهم فكرة العودة الى العمل القهري الذي تفرضه معركة تنازع البقاء . والفلاح ، قديماً ، على قسوة عيشه ، كان يغني وهو يفلح ، ويبتسم بعد العمل . والمصنع العصري حيث يحصون على العامل كل حركة ، لا تسمع آلاته الصماء غناء . ان الآلة الصماء هذه ، تسيطر على المرء وستسيطر عليه باطراد . وهو يطيع مرغماً أمرها الابدي الجهنمي .

اجل ان هذه الملاحظات لا تسرّ كثيراً . غير انني اعتقد ، آسفاً ، بحقيقتها . ولا مناص منها .

بيد انه تظل لنا التعزية الاسمى وهي لجوؤنا الى المـاضي ومطالعة الادباء الغابرين الذين أسعدهم الحظ فعاشوا في عصور لم يكن الانسان بعد قد اخترع ما يسمونـه خطأ ، المـدنية . عصرَ كان متاحاً للانسان العيش كلّ العيش ، وليس الوجود فقط .

جان غوليه

الاوكار

الى اخي توفيق . . . المحيدثة بكفيا

اما وقد اقبل الصيف
وضحك خده عن الصحو والزرقة
وانقشعت عن قريتكم غيوم الشتاء
فانطلق كل حي في سبيله
فلا بد لي من تهنئتك
بالعودة الى التغريد
وابتناء الاوكار
التي هدمتها لك عواصف الشتاء
بلا شفقة ولا رحمة !

وانك لتعمل كأن الصيف دائم ابدا
وكأن لا عواصف ولا شتاء !
ولن يدب الوجل الى قلبك
الا يوم تعود الوحشة الى الجبل
فعندها ،
اعوذ بالله من ذكريات الصيف
والخوف على الاوكار !

واما نحن
فلا خوف على اوكارنا
من شتاء او خريف
ما دامت طيّ احلامنا
نبنيها في بقعة الرجاء
حجرها من اكبادنا وافئدتنا
وجبلتها من طين الاماني
هندستها جنون
وسكانها ارواح
نأوي اليها ، وقد خلعت الروح الجسد
وتسكن كل شيء الى الهدوء
فتتعانق الاشباح

وويل للجسد عندها من الجنية التي لا ترتوي
ولن ترتوي
حتى تجيء يوم
تزول فيه الاشباح
وتتعانق الارواح
ويكون خلود العدم
قد احتضن هذا الجسد
المتعب !

البير اديب

انت والربيع

●

رجع الربيعُ اخوكِ في اشواقه | واراكِ، ثمَّ، بعيدةً لم ترجعي
جرت السفوحُ جداولاً محشودة | في موكبٍ متضايق متدفّعِ
وتلألأ السهلُ المخضّلُ، والربى | حسرَت خلال غمامها المتقشع
ومشت على الوادي الكئيب بشائر | فزها لها بالسندس المتلمع
فدخلت في قلب الصباح خميلةً | ماجت بأعلام الشقيق الشّرع
كنا على اجيادها وخدودها | نشتفّ من جام الحياة المترع
فلمحت حبّك في جلي سمائها | ولمست قلبك في الأديم الممرع
وسمعت اكمام الورود تُسرّ لي | ها قد طلعتُ! فما لها لم تطلع؟

* * *

لا تحسبي ذاك الولوع مفارقي | يأبى عليّ تهجدي وتوجعي
نور ابتسامك لم يزل في خاطري | وخيال حسنك لم يزل في ادمعي

رئيف خوري

جناية المجاملة

بقلم السيدة وداد سكاكيني

من فيض العقول الغابرة روي البشر ، وهـدوا بنارها الى معالم الخير والحقيقة، وما زالت تلك الالباب فياضة بلباب الفكر والمعرفة وصفوة الفن والحكمة ، وما قولي هذا للتنويه بالعتيق الطيب والتليد القيم وانما هي فكرة عرضت لي وانا أنشد وأردد بيتاً للشاعر الجاهلي زهير ابن ابي سلمى قال فيه :

ومن لم يصانع في امور كثيرة   يضرس بانياب ويوطأ بمنسم

فقلت ما اصلح أبياتاً لصاحب الحوليات في كل حول ولكل حـال ، انها نصيب العرب القدامى من الحكمة التي تنطق عن التجاريب وتستوحى من الحوادث ، ولكن هل كان زهير في قوله سديد الرأي ؟ فالمصانعة في لغة العرب هي المداراة والمداهنة ، ومن معانيها الخديعة والملق وهما نزعتان اخـلاقيتان لم يحمدهما علماء الاخلاق وهواة السجايا الحسان،ولقد اصطلح اهل الرشاد والصلاح في كل زمان ومكان على نبذ المصانع المخادع وطرح صحبته واتقاء شره كما أجمعوا على مودة أهل الصدق والصراحة ، ورأيتني أقلب وجوه المعذرة لحكيم داحس والغبراء ، افلم يحقن بموعظته الشعرية دماء قومه وقد سفكت في طوال السنين الجاهلية ؟ وبينا انا اتلمس للشاعر المعاذير كان بيته يأبى الدخول في باب منها ، اذ اتسع صدعه على الرائبين وصاحبه لم يحض على المصانعة فحسب ، بل حث قومه عليها في امور كثيرة لئلا يصيروا طعمة لغيرهم ومداساً ، وزاد عجبي أن ليس في طبائع العرب الاوائل منازع المصانعة والمداهنة ومسح الجوخ الذي عرفه الناس في قديمهم القريب وتعودوه في أيامنا ، إذ اصبح من مزايا الحضارة الحديثة والمعاشرة الاجتماعية الحـاضرة ، وأبو كعب وبجير أجل من ان يداجي ويحابي وهو وان تمدح طويلا بالحارث بن عوف وبهرم بن سنان فانمـا كان يشيد بفضل عظيمين من عليا معد تداركا عبساً وذبيان قبـل ان يتفانيا ، فعدت الى الجاهلية اجوس خلال مغاني أهلها ومعاني كلماتهم ، ولم يكن رائدي معاجم اللغة فإنها من هذه الناحية ما زالت مقصرة الى اليوم، فهي لا تؤرخ الكلمات ولا تكشف عن أطوار شيوعها وادوار حياتها وتبدل مدلولاتها ، واذا بي اجد بالاستقراء والتمحيص ان المصانعة التي ارادها شاعر الجـاهلية هي من ترادف السياسة والكياسة في ايامنا ، وألفيت ان مـا يجمح من خلائق الناس ويشمس من ميولهم ويخشى من عرامهم وخصامهم لا دواء له ولا زاجر الا بالسياسة واشباه الكياسة ، فالمصانعة إذن في مثل هذه الاطوار الشاذة لا مناص منها وهي كالسياسة في ألوانها ودروبها لا معدى لها عن المداورة والمداراة واكتساب القلوب بالاستهواء والاغراء ، وقد طوحني سياق بيت الشاعر الى ما نحن فيه من زمان ومكان ، فتساءلت في مواقف المصانعة على المجاملة التي توزن بها عندنا وتقاد كل علاقة ومعاملة ، وقلت ما بال معشر منا قد اتخذوا هذه المجاملة ديدناً لهم يصطنعون فيها وجوهاً مستعارة ومستأجرة ويتمرسون بها في كل شأن من شؤونهم ، حتى الذين يتبذلون وليس عليهم كلفة فيما بينهم ، فان بعضهم يجامل بعضاً ، ولا تكل ألسنتهم من التملق بالحق وبالباطل وبسائق العادة والتكلف لاعفو الطبع والبديهة ، ولو أحصينا معاني المصانعة وألفاظ المـداهنة التي يتداولونها بثمن وبغير ثمن لراعنا منهم هذا الغلو والشطط ، وقـد يهون الخطب في كل مجاملة الا في ميادين العلم والادب وتقدير الفن والبيان فانها تعد جريمة لا تغتفر وان لم يحاسب عليها القانون. الذي يتعقب الآثار الدامية والباغية ليعاقب عليها ، ولعل هـذه المجاملة هي آفة الادب الحديث،فلولاها ما طلع على الناس أدب التكسب والهباء الذي يكتبه أصحابه للرياء والاهواء، فهو مغروض مأجور، وهو مردود منبوذ في شرعة الحق والصراحـة ، ومن الحيف ان تشيع هـذه المجاملة في أدبنا المعاصر ، حتى ركبته الشبهات وتطاولت له الاشباح فأي طفليل أو جهول نهل من بداهة المعرفة نهلات ضئيلات ولم تلقبه آداب المجـاملة بالاديب المثقف ؟ واي متشاعر تعلم العروض ونظم ما لملم من كلمات ولم تنعته هذه الآداب

المصطنعة بالشاعر المطبوع ، وهؤلاء الغرائر والوارشون ، يشتهون الصيت والالقاب فيلتمسونها إلحافاً وإسفافا ويعنون النق والتهتر في ترديد ما نقلوا وتنحلوا حتى يتميزوا من الغرور ، فأيهم لم يستنسر او يتنمر ولم تمده المجاملة الجانية بما يزيده تيهاً وعتواً ؟ وأدهى من هذا وأمر أن تسري عدوى الموادعة والمصانعة الى اكابر الادباء المعاصرين فيجامل بعضهم بعضاً فيما يقولون ويكتبون ، حتى استفاض في محصولهم أدب المداراة والمجاراة ، وخفت موازين النقد بين أيديهم إذ أعرضوا عنه ايثاراً لراحة البال وسلامة السمعة ، ولعل اول ما يبدر الى الفكر منهم هو الدكتور طه حسين الذي حمل منذ بضع سنين راية النقد الادبي بعزم ورأي ونفاذ ونقد من آثار الاقدمين والمحدثين ما لم يجرؤ عليه غيره من الأنداد وقد أثار هذا الاديب المجدد حول نقده جدلاً وخصاماً ، ولقي عنتاً ، ولكنه فتح في الادب العربي فتحاً جديداً ، وما لبث الدكتور طه حسين ان شغل عن النقد الادبي ولم يتناوله الالماما وتقريظا ، فلما مات شوقي زعم طه حسين ان زعامة الشعر قد انتقلت من ضفاف النيل الى ضفاف الرافدين ، ولم يكد يستريح شوقي في فردوسه بين الخالدين حتى اقتحم هذا الفردوس الدكتور طه حسين وانتزع امارة شوقي الشعرية التي بايعه عليها اكابر الشعراء في اقطار العرب ، وخلعها على صديقه العقاد الذي هو بزعمه المثل الاعلى في الشعر الحديث ، وقد تنكر الادباء يومئذ لرأي العميد وعدوه منه مجاملة ينبغي ان يرد أداؤها ويتقاضى وفاؤها ، ومنذ اسابيع نشر الكاتب الكبير الاستاذ عباس محمود العقاد رأيه في أدباء المصريين فاصطنع المجاملة في نقدهم وتصوير بيانهم ، اذ كان يتجنى على الفحول الشداد ويتقصى الذين استمر مريرهم ، وما فاته ان يتلطف ببعضهم تلطفاً بيناً فيه كثير من التكلف ، وقد محا من سفر التكوين أدباء آخرين فكأنه شاء ان يهدم بقلمه الجبار اعلاماً للادب ما بنى احدهم مجده وشهرته الا في طويل المرانة والسنين ، ولم يتورط العقاد النقاد في مقالاته ومجاملاته للنوابغ الاكفاء ، بل سلك في صفهم بعض الكتاب الشباب من شيعته ، وكنا نتلمس له او لهم سبباً لولا ان فيهم من يقتفي معالم العقاد ويتأسى بآرائه ويتحامل على منافسيه وأعدائه ، وبينهم من كان يتربص الدوائر بخصم العقاد وكاتب البيان المرحوم مصطفى صادق الرافعي فلما اعلن الاستاذ العقاد رأيه بادباء العصر في مصر حشر مشايعيه في اكنافهم مجاملة لهم ، وما خلاهم من امدوحة صريحة وفي ديار المصريين ادباء محدثون وشعراء مطبوعون انشأوا وشعروا وقد اشتدت اليوم سواعدهم فأغفلهم العقاد وكان ينبغي ان يروز محصولهم ويعجم عودهم ، والعهد بمثله ان يعالن قراءه فيهم بما يرضي الحق والواقع ، لان كلامه رهن البقاء وحجة المتأدبين والادباء.

ولم تقتصر هذه المداراة على ادب المصريين بل رأيناها فاشية في ادب غيرهم في هذه البلاد ، حتي غدا ادبنا الحديث مبتلى بآفة المجاملة او مترجحاً في كفة الضغينة والخصومة ؟ ومن نكد الدنيا ان تجني المجاملة على كثير من اولي الالباب والفنون ، فترفع منهم ادعياء اغبياء ، وتضع الاكفياء ، فكم شالت لهم قسطاساً وأثقلت لغيرهم ميزاناً ! فضاع حق وجال باطل ، ولم يخل ادبنا القديم من فتك هذه البلوى ، لاسيما في حمى الخلفاء وفي عهود التكسب من الكبراء ، فكانت المجاملة بؤسى لابن الرومي ونعمى للبحتري وشراً على المتنبي وضراً على المعري وتشريداً لبعض الاحرار المفكرين ؛ وعدت للسياسة والتاريخ فوجدت عمر الفاروق لا يجامل في الحق والعدل صغيراً ولا كبيراً ولا يصانع غنياً او فقيراً ، وحين تذكرت ابن عفان بصرت به وقد جنت عليه المجاملة ، واذا بتاريخنا الغابر يموج جانب منه في بحران المتابعة والمصانعة ، اذ اشتمل على فصول املاها التدليس فباتت عندها عيون المحققين والمنقرين ساهدة جاهدة لتمحيص الحقائق وتجلية الانباء الصحاح ، ولكن هل رضي الناس عن المرء الصريح ؟ ولست اريده قوالاً لنصف البصير انت اعور ، فهذه الصراحة اقبح من وقاحة ، ما احسبهم راضين عمن يقول الحق ولو على نفسه ويرسل الكلام على سجيته ، انهم يتنكرون له ويعادونه ويسلقونه بألسنة حداد ، وفي أهكومة موليير التي وسمها بطابع الميزانتروب صور لنا الكاتب الفرنسي رجلاً كان يرجم الناس بالريبة والظن ، ويتحاماهم لما تفشى بهم من ملق ونفاق فكان لا يماري فيهم ولا يداري احداً منهم بل يجبه أياً كان برأيه فيه .

ولست طالبة في مقالي هذا صراحة مطلقة في معاملاتنا الاجتماعية او خروجاً على مقتضى ما يستحب ويجوز من آداب اللياقة والموادعة ، وانما ابتغي ان لا نغلو في المجاملة غلواً يؤول الى تشويه الحقيقة وتمويه الواقع ، اما في العلم والادب فالمجاملة مجازة للضلال ومهانة للحقائق ، فاذا شئنا الرفعة بين الامم فعلينا ان نستجيب لنداء الضمير فنضع الشيء في موضعه وننزل المدارك والاوصاف منازل العدل والانصاف بلا اسراف ولا اجحاف

وداد سكاكيني — دمشق

كلية الحقوق الرومانية في بيروت

بقلم خليل محمد عناني
استاذ في كلية المقاصد الاسلامية في بيروت

ان المؤلفين الالمانيين الذين عنوا خاصة بدراسة التشريع البيزنطي وكذلك الذين اهتموا بدراسة اصول التشريع الروماني او بدراسة تاريخ تدريسه (وهم اكثر عدداً من اولئك) يعترفون جميعهم انه في عهد Justinien وبعده ، كان لكلية الحقوق في بيروت — او Béryte كما كانت تدعى — المكان الاول الممتاز .

لقد كان الشرق حينئذ حامل مشعل العلم بلا منازع وكان يدرس فيه الغربيون انفسهم . الا ان كلية الحقوق في بيروت قد لمعت اكثر من غيرها وكانت ابعد اثراً من الكليات الاخرى المنافسة لها ككلية الاسكندرية وقيسارية واثينة وكلية القسطنطينية نفسها .

وبالرغم من ان العلم الحديث يذكر في كل مناسبة الدور العظيم الذي لعبته كلية الحقوق في بيروت في تاريخ تدريس التشريع الروماني فلا توجد دراسة حديثة كاملة عن هذه الكلية اللهم الا اذا استثنينا كتاب الاستاذ Paul Collinet احد اساتذة كلية الحقوق في باريس وقد نشره سنة ١٩٢٥ .

والعمل الوحيد الشامل في هذا الموضوع قبل ظهور كتاب Collinet يرجع الى سنة ١٧١٦ وقد قام به Jacques Has De Brême.

وان زمن هذا الكتاب وماعرف به علماء ذلك العصر من حسنات وسيئات كل ذلك يضطر الباحث في تاريخ كلية الحقوق ان يعود الى الاصول الاولى لهذا الموضوع ، الى الاصول اليونانية والسريانية التي نشرت منذ ربع قرن تقريباً والى الدراسات الحديثة والقديمة العامة او الخاصة التي تحوي بعض اشارات مفيدة لهذا الموضوع .

وقد حاولت ما استطعت ان اتعرف الى بعض هذه الاصول مما يوجد في مكتباتنا الشهيرة في بيروت وسعيت الى الاستفادة منها الا ان جل اعتمادي كان على كتاب Collinet .

واول ما يجب الكلام عنه في موضوع كهذا هو تأسيس كلية الحقوق . فلنبدأ اذاً بتأسيس هذه الكلية .

تأسيس كلية الحقوق

هناك نقطتان تستدعيان انتباهنا قبل كل شيء . هما تاريخ التأسيس او زمنه ، والاسباب التي دعت اليه ونبدأ بزمن التأسيس وتاريخه :

نكتفي بالاشارة الى ان بيروت في عهد الرومان جعل منها Auguste مستعمرة عسكرية وسماها :

Colonia Julia Augusta Fellix Berytus

وكان ذلك في سنة مجهولة من حكمه

ولا نعرف بالضبط متى اسست في هذه المستعمرة جامعة ولا متى اسس فيها معهد للحقوق .

بين القدماء Hase يذكر ويدحض آراء Scipion Gentilis الذي ينسب تأسيسها الى اوغست . وآخرون يرجعونه الى زمن Hadrien ، و Ménage يعيده الى عصر Alexandre Sèvère

ويعتقد De Ménage ان تأسيس الكلية كان بعد زمن قليل من انتصار Actium . الا ان هذا الاعتقاد ليس مدعوماً بحجة قوية

وبين المؤرخين المحدثين Rudorff الذي يحاول ان يرجع تأسيسها الى زمن Hadrien لا الى زمن Auguste .

ويعتمد Bremer على خطاب للقديس Grégoire Le Thaumaturge القاه سنة ٢٣٩ او سنة ٢٤٠ واتى فيه على ذكر كلية الحقوق للمرة الاولى ، فيقول (Bremer) ان كلية الحقوق في بيروت بدأت بعد سنة ٢٠٠ بقليل الا ان هذا لم يثبت بعد .

اما Schemmel فهو يعتقد ان كلية الحقوق وجدت قبل سنة ٢١٢ بزمن طويل واشتهرت منذ بدأ الشرع الروماني ينتشر في الشرق تحت تأثير دستور Caracalla (٢١٢) . ولكن هذا التأكيد لا يعتمد على برهان متين قاطع . الا اننا على ثقة من ان

كلية الحقوق كانت موجودة في شباب Grégoire Le Thaumaturge يعني في اوائل القرن الثالث ٠ ولكن منذ كم سنة ؟ هذا ما لم يُعرف بعد ٠

وكثيرون من مؤرخي كلية الحقوق الرومانية في بيروت من يزعم ان كليـة الحقوق أسست تحت تأثير كبار المشرعين من السوريين في القرن الثالث كـ Ulpien الصوري و Papinien ابن عم (زوج اختـه) Septime Sévère (شقيق زوجته الثانية Julia Domna) و Papinien كان من مدينة Hémèse اي حمص وكذلك Tryphoninus الذي كان يتمتع بمراكز كبيرة في سنة ٢١٣

ونلاحظ ان آراء هؤلاء المؤلفين المحدثين تدعم آراء Bremer وتؤيدها ٠

ويعتقد Bremer ان Gaius الذي نعتقد انه ولد في طروادة قد درس في كلية الحقوق في بيروت ٠

وكدليل على ان Ulpien الصوري درس في كليـة الحقوق في بيروت حسب رأي Bremer ذكره بيروت كمثل على مدينة التشريع الايطالي٠

اما Papinien فعدة مقاطع من مؤلفه في الحقوق يذكر فيها بعض مدن سورية اوحت الى Bremer امكانية كونه مدرساً في كلية الحقوق في بيروت ٠ وهنالك اختلافات كبيرة جداً حول تاريخ تأسيس كلية الحقوق الرومانية في بيروت ٠ فأمام هـذه الاختلافات في الرأي وبسبب سكوت المصادر الاولية نرى انفسنا مضطرين الى الاكتفاء بالملاحظة بان تأسيس كلية الحقوق يرجع الى ابعد ما يكون الى اوائل القرن الثالث او الى اواخر القرن الثاني٠

اسباب التأسيس

ان الاسباب والعوامل التي دعت الى انشاء معهد الحقوق في بيروت يغشاها نفس الغموض الذي يغشى زمن تأسيسها ٠ والسبيل الوحيد للباحث في هذا الموضوع هو التخمينات والافتراضات التي لا تؤدي احياناً الى الحقيقة ٠

١ — بيروت مركز لقوانين الامبراطورية الرومانية :

يتساءل Collinet اذا ما كان تأسيس كلية الحقوق قد دعا اليه كون مدينة بيروت منذ الـ Haut Empire مركزاً للقوانين الامبراطورية في الشرق ٠ والحقيقة ان بيروت كانت كمستودع للقوانين التي كانت تتعلق ببلاد الشرق ٠

وتأسيس هذا المستودع يرجع على الاقل الى ما قبل سنة ١٩٦ وهو زمن اقدم قانون في مجموعة قوانين Grégorien التي أُلّفت في بيروت ٠ ويمكن ان يكون المستودع قد وجد قبل ذلك بقليل

وكل ما تذكره المصادر الاولية عن وجود هـذا المستودع هو انه وجد قبل سنة ١٩٦ ٠ ويلاحظ Collinet انـه من الطبيعي ان توجد علاقة بين كلية الحقوق وارسال الاباطرة بقوانينهم الى هذه الكلية ٠

ويميل Collinet الى الاعتقـاد بأن اختيار مدينة بيروت لتكون مركزاً لقوانـين الاباطرة وتشاريعهم هو الذي أدى الى تأسيس كلية الحقوق فيها ٠

وقد لمس بعض الـPrudentes اساتذة القانون في بيروت فائدة في استخدام القوانين التي كانت تأتي من رومة الى بيروت في تعليم الحقوق ٠ ومما جعل مدينة بيروت تتفوق على سواها من المدن الشرقية في هذا الميدان هو انه لم تكن تأتيها القوانين المتعلقة فقط بسورية بل بجميع انحاء الامبراطورية في الشرق ، وهـذا ما جعل طلاب الحقوق يقصدونها من المناطق النائية في الشرق ليدرسوا فيها وهذا كله شجع على ايجاد كلية للحقوق كان لهـا شهرة عظيمة ونجاح باهر للاسباب التي ذكرناها

٢ — الاثر السياسي والاقتصادي لمدينة بيروت ٠

لقد أحل الرومان مدينة بيروت محلاً كبيراً فجعلوها مستعمرة عسكرية ومركزاً لجيشين كبيرين ٠ وقد حكم (آغيبا) زوج (جوليا) ابنـة الامبراطور اوغست التي اعطت اسمها لبيروت (كولونيا اوغستا جوليا فليكس)

وشيد فيها اوغست الابنية الضخمة وحذا حـذوه في ذلك الملوك اليهود من عائلة هيرودس اغريبا ، وقد اختيـرت بيروت مركزاً لمحكمة العدل العليا غير العادية التي ألفها الامبراطور اوغست للنظر في اتهام هرود ابناءه بالتآمر عليه ٠ وقد كان مرفأها مركزاً للاسطول الروماني المكلف بحماية المتوسط الشرقي ٠

وكان كلما اضطر امبراطور ما للمجيء الى الشرق كان يقضي في بيروت مدة من الزمن لما كان لها من الاهمية والشهرة: اوغست وايكوبازين وطيطس الخ ٠

اذاً كانت مدينـة بيروت تتمتع بمركز ممتاز عند الاباطرة الرومان ولا عجب ان يكونوا قد جعـلوا منها مركزاً لقوانين البلاد الشرقية فقد كانت هي مفتاح الشرق٠

وبيروت مدينة بهذا المركز قبل كل شيء الى مرفأها الذي

استغله في الماضي الفينيقيون واليهود واليونان .

هل يمكننا ان نستنتج من ذلك كله ان تأسيس كلية الحقوق كان على يد احد الاباطرة ! فان الكليات الرسمية لم تكن موجودة في الـ Haut Empire

ولكن تأسيس كليـة الحقوق في بيروت دعت اليه نفس الاعتبارات التي حملت اباطرة روما على اعطاء بيروت الاهميـة التي تكلمنا عنها .

فمها كان الزمن الذي انشئت فيـه الكلية واذا كان لكونها مستودعاً لقوانين بلاد الشرق اثر في ذلك ام لا ، فمما لا مشاحة فيه ان اهميتها السياسية كمفتـاح للشرق واهميتها الاقتصادية لوجود مرفأ عظيم فيها كانتا كافيتين لانشاء كلية الحقوق فيها كما كانت العادة في روما وفي مدن الشرق الكبرى .

كانت بيروت لاهميتها السياسية والاقتصادية والجغرافيـة تزخر بالنشاط وتفيض بقوافل التجار والمسافرين والسياح وطبيعي ان يتبع هذا النشاط بعض المشاكل والاختلافات بين النـاس وان يتبع وجود هـذه المشاكل والاختلافات وجود رجال القانون . ونعلم ان الـ Prudentes كانوا في الوقت نفسه محامين واساتـذة حقوق . فلا يبعد ان يكون هؤلاء الاساتذة فكروا في وقت من الاوقات حوالي القرن الثاني في انشاء كلية للحقوق . ولكن هل هناك من اسباب اخرى لنشوء كلية الحقوق . هـذا ما يمكن ان نتوصل اليه في بحثنا المصادر الاولية في درس كلية الحقوق في بيروت . .

المصادر الاولية

اول مصدر يشير الى تدريس الحقوق في مدينـة بيروت هو مقطع في خطاب القديس (غريغوار له توماتيرج) القاه سنة ٢٢٩ يروي فيه انه تعلم اللاتينية والقوانين الرومانية ليذهب الى بيروت ويطلب الحقوق فيها .

وهذا المقطع يدل على شهرة كليـة الحقوق في بيروت وذيوع هذه الشهرة في اوائـل القرن الثالث بعيداً خارج سوريا ويدل على ان المدينة كانت مركزاً كبـيراً من مراكز الروم وان التدريس كان فيها باللغة اللاتينية .

وفي القسم الثاني من القرن الثالث زى القديس بامبفيل يدرس الحقوق في مدينة بيروت .

وفي اواخر القرن الثالث زى القديسين : آبيان وايودنيوس يقضيان خمس سنوات في بيروت لدرس الحقوق الرومانية .

وفي حدود القرنين الثالث والرابع نجـد قانوناً غير مؤرخ لـ (ديوكليتيان) و (ماكسيميان) يذكر بعض الشيء عن كلية الحقوق في بيروت وهو عبارة عن جواب على سؤال وجهـه بعض طلبة الجزيرة الى الامبراطور . ويستفاد منه ان بعضهم كان يؤم هذه المدرسة منذ القرن الثالث او الرابع . وقـد اكتشف الابوان منيـل دي بويسـون وموترد نقشاً يونانياً في بيروت مهـدياً الى ملكة البتراء يدل على وجود علاقات تجارية بين البـتراء وبيروت قبل زمن القانون الذي نتكلم عنه .

اما في القرن الرابع فقد كانت شهرة الكلية قد عمت الآفاق ودليلنا على ذلك اشارة السفسطائي (إيناب) الى ذلك . وقد كان ايناب هذا يعيش في عهد الامبراطور (كونستانس) . قال ايناب في معرض الكلام عن موظف كبير من موظـفي الامبراطورية الرومانية : « لقد بلغ ذروة علم الحقوق . وليس هذا غريباً فموطنه بيروت ام هذه الدراسات ومرضعتها » .

ويرى المؤرخ *Sozomène* في كتابه تاريخ الـكنيسة ان القديس سبيريديون (٣٤٨) مكث مدة طويلة في بيروت للتفقه في الشرع الروماني

وعنـدنا جواب قانوني من الاجوبة الامبراطورية يظهر الاثر الفعال الذي كان لدراسة الحقوق في بيروت في تسهيل المعـاملات والمشاكل القضائية .

وفي النصف الثاني من القرن الرابع ازدادت شهرة كلية الحقوق في بيروت . ولدينا مصادر كثيرة تشهد بذلك :

فالقديس غريغوار دي نازيانج (سنة ٣٨٩ م) يشير في قصيدته الشهيرة من نيكوبيل الى ابيه (De Nicobule à son fils) الى كلية الحقوق دون ان يذكر اسمها . يقول :« مدينة شهيرة في فينيقيا الجميلة ومركز للقوانين الرومانية .» وهذا التلميح لايعتوره اي شك في ان المقصود به بيروت .

ونجد عند ليبانيس العالم الكبير في البلاغة ادلة عـديدة على شهرة مدينة بيروت وعلى وجود كلية الحقوق فيهـا . ففي رسائله يذكر دائماً طلاب الحقوق ويذكر استاذا من اساتذتها هو دومنينوس . وقد كان ليبانيس استاذاً من اساتذة البـلاغة في انطاكية . وكان تلامذته عندما يريدون درس الحقوق ويستبعدون روما يذهبون الى كلية الحقوق في فينيقيا . ورسائل ليبانيس تحوي تفاصيل قيمة ودقيقة عن حياة الطلبة في كلية الحقوق .

وان اكثر النصوص بياناً هي رسالتـه العظيمة التي وضعها في الرد على منتقدي تعاليمه بعد سنة ٣٦٦ او بين سنة ٣٦٧ و ٣٦٤ وفي هذه الرسالة يعرض ليبانيوس الاسباب التي ادت الى تقهقر فن البلاغيين في ايامه . وان المقطع الذي يشير فيـه الى تطور مدرسة الحقوق في بيروت لمُهم الى درجة تجعلنا نترجمه حرفياً

« وهناك سبب ثالث ادى الى اضمحلال الفن الخطابي فليقرظوا وليحبذوا كما يشاءون الثورة التي سأتحدث عنها . فالواقع دائماً انها ساعدت كثيراً في جعل الدراسات الادبية عظيمة . فالى هذاالعصر كان الفتيان المنتمون الى عائلات عاملة والذين كانوا بحاجـة الى البحث عن وسائل العيش كانوا يردون دوماً فينيقيا ليتلقوا فيهـا دراسة القانون . اما ابناء العائلات الكبرى ذوو الدم الممتاز والثروة العظمى والذين كان آباؤهم قد مارسوا المهمات الحكومية فقد ظلوا في مدارسنا . وكان على ما يظهر في ذلك الوقت ان دراسة القانون كانت تدل على العوز والفاقة كما انترك هذهالدراسة كان يدل على الغنى والجاه . اما اليوم فليس هناك شيء من هذا ، فالناس يتسارعون من كل صوب لدراسة الحقوق والفتيان الذين يحسنون الكلام يسرعون الى مدينة بيروت آملين ان يجمعوا معلومات جديدة يضيفونها الى ما عندهم . ولكنهم يخطئون فهم لا يجمعون انما يقومون بعملية تبادل . ليس هذا شيئاً جديداً يضاف الى شيء قديم وانما هو شيء اساسي يحل محل القديم »

ويقول ليبانيوس نفسهفي رسالة اخرى وضعها في الرد على هؤلاء الذين وصفوه بالغضوب (ان التعلـيم في مدرسة الحقوق في بيروت كان يعطى باللغة اللاتينية في اواخر القرن الرابع) : إنهم ينظرون اليوم الى هذا الفن الى الكلام البليغ انهم ينظرون الى هذه اللغة اليونانية كصخرة مجدبة لا يحاول غرسها الا المجنون لانـه لا ينبت عليها شيء . ولان البذار نفسه ضائع سدى فيها . تلك هي ارض اخرى التي تعطي الغلال والمواسم ، تلك هي لغة الايطاليين . آه يا ميترفا يا ربتي الالهية ! هذا هو علم القانون » .

واخيراً يذكر ليبانيوس في خطاب من خطبه سنة ٣٨٨ وهو يتكلم عن نجاح كلية الحقوق في بيروت موجهاً الكلام الى شيوخ انطاكيا : « الا تغضبون لرؤية ابناء الشيوخ يسافرون في كل ربيع إما الى بيروت او الى روما لدراسة القانون ؟ . . . »

وهناك عدا النصوص الادبية التي تعود الى الرابـع الميلادي والتي تحوي اخباراً واضحة صريحة فعلية عن كلية الحقوق ، هناك وثيقتان تاريخيتان مكتوبتان على ورقـة البردى وموجودتان في برلين وفيها بعض الشيء عن كلية الحقوق .

امـا فيما يتعلق بالقرن الخامس فان النصوص التاريخية التي تتكلم عن كلية الحقوق كثيرة وغزيرة بتفاصيلها . ولدينا في هذا العصر علاوة على المصادر التاريخية ، مصادر تشريعيـة لم تكن تتوفر في العصور السابقة . وفي خلال هذا القرن التقى بين طلاب الكلية في بيروت قديسان هما آركاديوس و جان كزانوفون وكانا من القسطنطينية . روي في اثناء الكلام عن حياتهما ان كزينوفون والدهما وقد كان نائباً فاضلاً وغنياً القسطنطينية ثقفهما ثقافة متينة في البلاغة والفلسفة ثم اراد ان يدرسهما علـم الحقوق فارسلهما الى بيروت التي كانت شهيرة حينذاك بالاساتذه الماهرين في الشرائـع والقوانـين . ويضيف الراوي بأن مرضاً اصاب والدهما فاضطرهما ان يعودا الى وطنهما ثم شفي والدهما باعجوبة من اعاجيب القـدر فأمرهما بالعودة الى بيروت لمتابعة دراستهما .

وعندما حاول الشاعر اليوناني نونوس المولود حوالي سنة ٤١٠ ان يحدد مصير العالم قال : « ان التناحر المقوّض للعالم لن يكف عن تهديد السلام الا حين تصبح بيروت حامية الهدوء في الحياة بحيث تقاضي الارض والبحار وتحصن المدن بسياج القانون المتين وحينما تأخذ هذه المدينة على عاتقها تنظيم مدن العالم بأسره »

وعلى كل حال فان كلية الحقوق الرومانية في بيروت شاهدت في النصف الاول من القرن الخامس حدثاً هاماً في تاريخها وهوجعل الامبراطور لها مؤسسة رسمية ومعاملته اياها على قـدم المساواة مع كليتي روما والقسطنطينية . وقد اقر ذلك جوستنيان في دستوره واعترف به ولهذا فانه ابقاها في جانب كليـتي المدينتين العظيمتين عندما قرر الغاء الكليات الاخرى التي لم تكن لها الصفة نفسها

اما الزمن الذي منحت فيه كلية بيروت هـذه الصفحة الرسمية فيرجح انه بين سنة ٤٣٨ و ٤٥٠ . ولدينا عن تاريخ كلية الحقوق في القسم الاخير من القرن الخامس معلومات غزيرة ، وذلك بفضل مـا كتبه المؤرخ الكبير زاكاري عن حياة سيفير وقد كتب مؤرخنا كتابه هذا (بين ٥١١ و ٥١٨) و سيفير الذي يؤرخ زاكاري حيـاته هو صديقـه ومعاصره سيفر الانطـاكي الذي اصبح بطركاً لانطاكية سنة ٥١٢ ثم نفي سنة ٥١٨ وتوفي سنة ٥٣٨ . وقـد كان من اشد المدافعين عن العقيدة بالمشيئة الواحدة . وقد اضطهد وعذب بسبب ذلك حتى اعتبره اليعاقبة احد قديسيهم .

ويخبرنا زاكاري انه درس مع سيفير في الاسكندرية النحو والبلاغة . وبعد ان انهى سيفير دروسه الثانوية (وكان ذلك قبل زاكاري بسنة) توجه الى بيروت لدرس الحقوق فيهـا في خريف سنة ٤٨٦ او سنة ٤٨٧ . وفي حوار زاكاري لتلميذ اسكندراني يقول فيه : « ماذا حدث من جديد ايها الصديق العزيز فاضطرك الى مغادرة مصر والنيل ومدينة الاسكندرية العظيمة ، لتقـدم الان الى هنا ؟ فاجابه تلميذه موينوس : حملني الى هنا ايها الصديق حب القانون ، حملني حب القانون الى ام القانون . وقـد اتيت الى فينيقيا لكي اتعلم كيف يفهم الرومان القانون »

وفي القرن السادس نشاهـد في رسائل (بروكوب) الغزي استاذ البلاغة في غزة اسماء لبعض طلاب معهـد الحقوق في بيروت وبعض الاخبـار عنهم وفي هذا القرن السادس عمل جستنيان على تثبيت دعائم كلية الحقوق في بـيروت وتقوية مركزها وتوسيع نطاق الدرس والتدريس فيها . كما انه قضى على المعاهـد المنافسة لهـا كمعهد الاسكندرية ومعهد قيسارية ومعهد اثينة وقد اعترف جوستنيان رسمياً بأهمية ومنزلة مدينة بيروت التي كانت لهـا بفضل كلية الحقوق وسجل هذا الاعتراف في قانونين من مجوعة القوانين الامبراطورية الرومانية المعروفة بالـ Digest وكلا هذين القانونين يرجع الى ١٦ كـ١ سنة ٥٣٣ . اما القانون الاول ففيه اشارة الى كلية الحقوق والى انه اشترك في وضع اثنان من اساتذتها دوروته و اناتول . واما القانون الثاني فهو موجـه الى اساتذة الحقوق في القسطنطينية وبيروت ويحمل في طياته امراً بتعميم مجوعة قوانين وقرارات الامبراطور جوستنيان ومنه نعوت فخمة لمدينـة بيروت كبيروت الوطن الام وبيروت المدينة الجميلة وبيروت ام القوانين الخ . . .

انهيار الكلية سنة ٥٥١

في خلال القرن السادس الميلادي وعلى اثر احـد الزلازل التي قلبت مدينة بيروت رأساً على عقب ودكتها من اساساتها انهـارت كلية الحقوق التي تكلمنا عن نشوئها وتطورها حتى الآن وزالت من الوجود بعد ان لعبت دوراً هاماً في تاريخ مدينة بيروت خاصة وفي تاريخ الرومان والفقه الروماني عامة .

وذلك ان الهزات الارضية كانت تحدث باستمرار في تـلك البقعة من آسيا التي فيها سوريا ففي عام ٣٤٨ حـدثت زلازل تهدم بسببها القسم الاكبر من مدينة بيروت وفي اواخر القرن الخامس حوالي سنة ٤٩٤ كما يقول زاكاري حدث ايضاً زلزال لا يقل هولاً عن ذاك ثم في سنة ٥٠٢ عرفت ارض بـيروت زلزالاً آخر اودى بكنيس يهودها الى الاندثار ثم في عهد جوستنيان حصل سنة ٥٢٩ زلزال لم تمس كلية الحقوق منه بأذى غير انه في ١٦ تموز من سنة ٥٥١ حدثت هزة عنيفة تبعتها حرائق كثيرة لم تقو كليـة الحقوق بعدها على البقاء . ومما قاله في ذلك المؤرخ الشهير ميشال الصوري :

« في بيروت وغيرها من مدن الشاطئ الفينيقي تراجـع ماء البحر بأمر من الله ما لا يقـل عن ٢٠٠٠ . . . . في بيروت حيث اشتعلت النار بعد انهيار المدينة ، وقد دامت الحرائق شهرين كاملين تحولت الاحجار والصخور فيها الى مواد كلسية . وقـد ارسل الامبراطور جوستنيان ذهباً كثيراً للبحث والتفتيش عن جثث الموتى ودفنها ولاعادة بناء قسم من المدينة

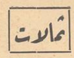
ومما قاله في ذلك المؤرخ البيزنطي آغاثياس وكان قـد كتب تاريخه بعد وفاة جستنيان : « بيروت اجمل عيون فينيقيا فقدت كل بهائها وعظمتها . لقد تداعت ابنيتها الجميلة الشهيرة ولم يسلم منها شيء وتوارى عدد كبير من سكانها تحت التراب كما انه اسف اسفاً شديداً على فقد عدد كبير من الشبـاب الاجانب الاشراف الذين كانوا يدرسون التشريع الروماني فيها . وكانت مـيزة بيروت الكبرى احتواءها على كلية الحقوق الشهيرة.

اجل على اثر زلزال سنة ٥٥١ توارت بيروت عن الانظـار وهلك ثلاثون الفاً من ابنائها فنقلت كلية الحقوق الى صيدا ريثما يتم بناء المدينة من جديد . وانشئت بالفعل بيروت جـديدة على نسق بيروت القديمة . وقد كان الناس على وشك تدشينها واعادة اساتذتها القدماء اليها عندما شبت فيها حرائق سنة ٥٦٠ فلم تبق منها ولم تذر .

وآخر ما نجده في المصادر القديمة عن كلية الحقوق في بيروت هو اشارة احد الحجاج المسيحيين الذين مروا بسوريا بعد زلزال سنة ٥٥١ بقليل .

وقد ظلت بيروت قاعاً صفصفاً حتى سنة ٦٠٠ م ثم سقطت بسهولة في ايدي المسلمين عام ٦٣٠ دون ان تظهر كليتها اي اثر او اي محاولة للانبعاث

خليل محمد عيتاني





عادت من الجنينة وهي تحمل في يدها اضمامة ورد ، ذات عبق ، ورقة ، وترف وملدان فيا لهناء الخزف ، كيف انتعش واحمرت خدوده وتندت زواياه ، واطل من النافذة يحمل الورد ، وطراءة الورد وعنفوانه وبقايا الاصابع النحاف ، وتباشير امل تكاد تتفجر على بلجة النور وغدق الشذى .

يالهنـاه ... ومن تراه لا يحب الورد في الضم واللمس ، والشم . وهـذه العتمة لا تزاح عن سطح النفس إلاّ اذا كشحها كاشح دالية ، او دافع طيب

اثنان في هذه البرية الموحشة — الدنيا — يخدران الألم ، كاس مترعة بالصهباء ، ووردة مطفحة بالعطر .

اما تلك الصبية التي رصّعت الورد وبهّجت النافذة والحي ، فقد عقّدت هذه الحروف المتململة على ارض الخاطر ، وكان لها مع الغرس الفوّاح حديث يكاد يكون حديث الورد نفسه

يُقطف من الجنينة الخصبة ، وهو بعد في النضارة ، فيحمل بشوكه ، ونداه وشـذاه ، الى دور الناس ، ليحفظ في الآنية ويمنع القطر الازرق ليشرب ماء الصنبور ، والاباريق المعطنة ، ثم يذبل على غصنه ، كما يقال ، ويغيب عبقه وينثر ورقه ، وتنتصب اعمدة الوحشة والظلمة فيتساءل الحي عن وردة زرعها الزارع وسقاها بحباب القلب وجهشة العين

وتقام النياحة في كل صوب وعلى رأس كل تلة فقد غار لون من الوان البياض المقدس ، وجلست الجنيات تفتش عنـه في المرايا المصقولة ، وصفحات الينابيع ، وزرقة اليم ، وعيون الشعراء

حبذا هؤلاء الشعراء ، تخبيء اهدابهم المعبقة اطياف الليل واساطير السمر ،

نعمّا الشعراء ، لولاهم لما كان لهذه الوردة العطرة عطر دائم يهزأ بمكبّ الفصول

حبّ بهم فهم الذين رفعوا هذا الغرس عن التراب الى الصدور فمشارف الرأس كما رفعت الريح الضباب عن السفح الى الشعاف ، الى اعلى مفارق القمة

والصبية التي تقطف الورد من الجنينة القريبة ثم تزرعه في مياه الاناء الاحمر زينةً لبيتها هي التي تقول لهـذا الاناء الخزفي نفسه : اعشوشب . فتخضر جنباته وتنفجر الالوان على نواتئه ثم تجلس في التلفت والحيرة حتى يمر بهـا من بلاد الشمس هائم تائه ، يحطم الوعاء القرمزي على حديد النافذة فترمي وجهه بالورد وهو يظن انها عابثة وهي تظن انه مجدّ وبين الجد والعبث ، وتشهي هذه الالفاظ ينمو الورد ويخلد لونه ويتأبّد طيبه ثم يتوارى عن العين فلا تراه الا الحشاشة

وكانت الصبية عندما تود التفلت تأخذ الاضمامة الحمراء وتُسقط منها على النفس قطرات شذى فاصبحت ونبع الشذى في صدرها كلما تنفست نفحت منه على الورد الجاف نفحاً منعشاً

كم وردة كانت مغروسة في التراب فاذا بها مغروسة في القلب ، والوردة التي تغرس في القلب بين الدم والخفق والحنين هي التي تمتد اصولها في تلافيف الفكر حيث ترتشف غيومَ الخيال فتثمر بالاطياف والرؤى

وآنئذٍ فقط ، يقال : لفلان في نافذة قلبه وردة زرعها زارع غريب فنبتت واخضرت ، وامتدت وكان لها كالعوسج شوك مؤلم تردّ به اذى القاطف ، وعين المشتهي .

سَلِمَ الورد ما اقسى شوكه ، واطيب شذاه

الياس خليل زخريا

ظماء نفس

بقلم الآنسة فلك طرزي

لست ادري لماذا تحدثني نفسي كلما انشدت هذا البيت للمتنبي :

أرق على أرق ومثلي يأرق وجوى يزيد وعبرة تترقرق

تحدثني ابداً باستبدال « أرق » « بظمأ » فأنشد :

ظمأ على ظمأ ومثلي يظمأ وجوى يزيد وعبرة تترقرق

ولو ان هذا التصرف قد يغضب المتنبي ويؤذيه على غير حق ، اذ اية نفس اجدر بالظمأ من نفس المتنبي ؟ اجل ! ظمأ على ظمأ — لا أرق على أرق ، ظمأ يدور في كل شيء وحوله وكل شيء يدور فيه ومن حوله .

ظمأ يطغى على كل شيء ، ظمأ يغمر النفس فيجعل منها العوبة وينحدر بها الى هوة لا قرار لها ، ظمأ يحيي ويقتل ، ظمأ يبعث ويميت !

يا ويل النفس التي تحيا بصمت ، وتظمأ بصمت ، وتألم بصمت ، ثم ترحل عن هذه الدنيا وكأنها لم تأت اليها ولم تعش فيها !

يا ويل النفس التي تنظر بالعين فتضحك بالقلب او تبكي ، كأن بلسانها لكنة او عقدة !

يا ويل النفس التي تتكدس فيها الغموم وتتراكم ، ولكن اللكنة التي في لسانها تنشر الصمت فوقها ، فتغلي وتفور ، ثم تنطلق شظايا وسهاماً تحترق القلب فيتفجر معها .

تمنيت لو كنت القلب الذي يخفق في كل صدر ، والنفس الذي يجري في كل نفس ، والحياة التي تنبض في كل عرق ، والعين التي تضيء كل وجه ، تمنيت لو كنت هؤلاء جميعاً ، لتختلج في قلبي خلجات كل قلب ، ولتتأثر نفسي تأثر كل نفس ، ولتقرأ عيني ما تقرؤه كل عين !

ولكن هل بوسعي معرفة كل نفس ، ونفسي ما زالت مجهولة لدي ؟

هل بوسعي النفاذ الى كل قلب ، وقلبي ما برح مغلقاً دوني ؟

هل بوسعي قراءة ما في كل عين ، وكثير مما تطالعه عيني يعسر علي تفسيره ؟

اين اين يا ترى العين السحرية الخارقة التي ترشد بصري وبصيرتي الى صميم النفوس ونفسي ؟

اين اين يا ترى التيار الذي يصلني بخفايا الطبيعة حيث تنكشف لي ستائر حيلها وألاعيبها ؟

ظمأ في روحي ، ظمأ في قلبي ، ظمأ في عيني لا ينقع ولا يرتوي ! ظمأ في روحي ، ظمأ لشيء لا تدركه اليد ، ولا يستشفه الخاطر ! نفسي ظمأى ولا من ماء ينقعها ! نفسي عطشى ولا من نبعة ترويها !

* * *

فجعرت بادئ الامر عالم الكتب من العالمين اللذين تقسماني ، ولجأت اليه ظناً مني ان فيه ما يشفي غليل النفس ، ويروي الظمأ ، ولكن سرعان ما لاح لي ان الظمأ في هذا العالم يزداد ولا يرتوي ، اذ كلما تراءى للعين لمعان من خلال أفق من آفاقه ظننته النفس ينبوعاً فتنطلق نحوه تطوي الابعاد تارة مسرعة وتارة متئدة ،

لكنها كلما اقتربت منه او قيل لهـا انها اقتربت ، ابتعد عنها السراب ، فتعاود الكرة ، وتطوي ابعاداً ثم ابعادا ، لكنها في كل مرة تخدع وفي كل مرة تخيب !

واذا لاح لي ان عالم الكتب الذي ألفني ولم آلفه تماماً لا يكفي وحـده لسد جوع النفس تركته الى عالم الناس والبشر ، الى الاوقيانوس المتلاطم الموج الذي غاص في قراره وخاض خضمه اولئك الذين خرجوا منه آلهة مبدعين ظناً مني ان جواره قد يشفي غليل النفس ويروي الظمأ . فرحت اجوبه وانا اردد مع المتنبي :

وفي الناس من يرضى بميسور عيشه
ومَركوبُه رجلاهُ والثوب جلدُهُ
ولكنّ قلباً بين جنبيّ مـا له
مَدىً ينتهي بي في مرادٍ أمدُهُ
يرى جسمهُ يُكسى شفوفاً ترُبّهُ
فيختار ان يُكسى دروعاً تَهدّهُ

ورحت اطوف في قممه ومنحدراته ، صاعدة ، هـابطة ، متزلقة ، منحدرة ؛ ولكن سرعان ما تبين لي ان الامل هنا ايضاً خائب،اذ ان طوافي في هذا العالم لم يزدني الا ظمأ ، ويقيناً بان سوء التفاهم المقصود أو غيرالمقصودهو صلة الناس بعضهم ببعض ؛ وكأني بهم قـد اتفقوا جميعاً على ان يجعلوا من هذه الصيغة ، الرابطة التي تجمعهم وتقرب بعضهم من بعض .

وكلما ازددت اتصالاً بانسان كنت ازداد جهلاً به ؛ وكلما تقربت منه كان يلوح لي بعيداً ذا غور سحيق كثيراً ما كانت شعلة مصباحي تخمد في ظلمة تعاريجه .

انهم يسيرون مندفعين بتيار قوي جبار ينبعث من اعماق الحياة فيتصل بالاعماق من نفوسهم ، محيياً فيها غريزة البقاء التي يحتمل الانسان في سبيلها ما يحتمل . انهم يسيرون . ولكن قليل منهم يدري ان سيره الى غير هدف ، وان الوهم يلوح له هدف هـذا السير ! وقليـل منهم يرسم خطة السير فيسير عليها ثم يتبعه الآخرون ؛ وقليل منهم يعين هـدفاً فيتجه نحوه ثم يتجه معه الباقون ! فسلام على اولئك الذين ادركوا هـذه الحقيقة فرسموا الخطط وعينوا الهدف ؛ اذ ليسوا هم رسلاً وأنبياء فحسب ؛ انما هم آلهة !

ايقنت بعد تجربة ، ان العالمين يتشابهان من حيث التحول والتلون ؛ وان الكتاب الصادق الحق ، هو كالانسان : وجه واحد ذو وجوه عـدة متباينة ، تتوضح حيناً وتغمض احياناً ؛ وان الانسان في فرديته يمر في اطوار مختلفة من العمر تنتهي به عند الفناء ، لكنه في مجموعه شباب وخلود . وان الكتاب يبقى خالـد الشباب ، لانه انعكاس الانسان في فرديته ولانه صورة الانسان في مجموعه .

لقد تأملت طويلًا وجه ذاك المثري المقتني الذي يجر وراءه أثقال المال واعباءه . وتأملت طويلًا ذلك المعدم الفقير المتسربل من رأسه حتى قدمه بسرابيل الفاقة والعوز : فاذا بكل منهما يلوح لي غنياً حائراً بغناه : هذا بفقره وذاك بثرائه !

وتأملت طويلًا ذاك الذي يوزع الايمان والعقيدة على الناس ؛ فرأيته قد فقد العقيدة والايمان ، بكثرة ما وهب ووزع !

وتأملت طويلًا ملامح الناس في صمتها وكلامها ، فخيل لي ان هؤلاء الناس يتبارون بل يتنافسون في اخفاء حقيقتهم في البعيد السحيق من اعماقهم ، وان الصراحة عند هؤلاء الناس ليست هي الصلة التي تقرب بعضهم من بعض ؛ انمـا هي رسائل من الكذب والرياء وطرق المحاباة المبتذله يلجأون اليها ليحققوا هذا الغرض . فأنت تكذب عليّ ، وأعلم انك تكذب عليّ ؛ وانا اكذب عليك وتعلم اني اكذب عليك ! ولكن كلًا منا يتجاهل هذا الامر من صاحبه ، ويلبس كذبه لباس الصدق المزيف الفضاح . فيا ويل من يحمل قلبه على راحته ، ليتقرب بهذه الوسيلة من البشر ! فانه يعرضه الى اخطر هول ويؤدي به الى اسوأ مصير .

ولكن يا ويل من يفقد كل وهم ! فانه يفقد كل مـا يجعل للحياة قيمة وثمناً ! يفقد فن الحياة ومعانيها ! يفقد الثقة والايمان ؛ يفقد امضى سلاح تستعين به النفس على اشباح الضيق واليأس ؛ يفقد الامل ، هذا الخيال الباسم الذي يلوح للعين ابـداً من خلال الحب والغيوم ، مهما كانت كثيفة ومهما كانت سوداء !

ثم هل بوسع انسان ان يحيا بلا وهم ؟ وهل تكوين الانسان البشري من القوة بحيث يغنيه عن كل ما يسمى حب وأمل وثقة وايمان ؟ كلا ؛ ان الانسان ضعيف ولانه ضعيف تتجلى فيه الانسانية بكامل صفاتها ومعانيها ، ان الانسان ضعيف لكنه قوي خـالد لانه انسان ، ولانه ضعيف !

فلك طرزي — دمشق

اسطورتي

● لعلي محمد شلق ●



أسطورتي انت ملء الذهول البعيد ، ملء رؤى الشاعر
تطلين في زحمة الذكريات رفيفاً على جانحٍ عابر
يموج على اليوم نفر اللحون ويسبح في غده السافر
تسكّع ماضيّ في ريشه خجولاً وأوغل في خاطري
يداعب بين ابتهال الشموس نجوماً بمنقره العاطر
وينثر في الغفوات الصبايا غناءً على افقه الساحر
فللكون غنجة طفل رخيّ ينام على حلمٍ زاهر
يلوّنه الفجر بالامنيات وبالترف الوارف الوافر
له زورق فيه وجه الرجاء يطير على كوكبٍ ماخر
ينام على خفقة المهج المحصنات ويندى بصيبه العامر
اذا رنّح الهدهدات حداءً فللريح سقسقة الزامر
تُفج الشراع بألوانها صباحاً على الرفرف السامر
وتغمره بانفراط النجوم وهزج او اذيّه الهادر

*

واسطورتي سكرت بالزمان فعربد بالشوق في ناظري
تلجلج برعمها بالطيوب وارخى الربيع لدى حاضري
ففي طيّتي منك عمق الهوى نديّاً على مقولي الشاعر

• رهان غريب •

بقلم الدكتور نقولا فياض

عرفتها في باريس بعد الحرب الكبرى في حفلة للصليب الاحمر، جميلة بكل ما في الجمال من معان، تحب الغناء والشعر والرقص وناديها في شارع «فردلاند» محجة اهل الادب والفن والسياسة. وكانت على كثرة المعجبين بها لا تفرّق بينهم في المعاملة فتوزع حلو حديثها وابتسامها على الجميع دون ان تظهر تفضلًا لاحد على سواه وكنت على شدة اعجابي بها لا اشعر نحوها بعاطفة غير الصداقة كأن صوتاً خفياً كان يهيب بي ان لا اطمع باكثر من ذلك. وسُرعان ما انتفت الكلفة من بيننا فكانت تدعوني احياناً لمرافقتها في نزهة الصباح في غاب بولونيا او لتناول الطعام على مائدتها. وكثيراً ما رافقنا في هذه الاجتماعات شاب من عشرائها اسمه مكس شغف بها حباً حتى انه رفض وظيفة ملحق بسفارة واشنطن ليظل قريباً منها. وكان كل ما في حركاتها يدل على انها غير مستاءة من تعلقه بها وان لم تشجعه ظاهراً على ذلك

قلت لها يوماً بين الهزل والجد: انك لمجرمة. قالت: ولماذا؟ قلت: لانك تضرمين النار في القلوب ولا تحدثك النفس يوماً باطفائها. قالت: هي المغازلة البريئة لا ضرر منها، والناس في باريس قد تعودوها حتى المتزوجين لايجدون فيها غضاضة على نسائهم

قلت: هذه المغازلة التي تدعين انها بريئة هي في نظري اشد خطراً من العشق واسوأ عاقبة فالمرأة التي تريد ان تُحَب دون ان تُحِب ويل ٌ على المجتمع. قالت: وكيف؟ قلت: لان الذين يُقضى عليهم ان يقعوا في شباك هواها ويصيروا لها اتبع من ظلها تتراكم فيهم مع الزمن تأثيرات لا بد ان تظهر يوماً فهي كالبخار اذا قوي واشتد يطلب منفذاً والا تصدع المرجل.

والظاهر انها لم تفهم كلامي فسألتها ان تجلس على الكرسي وتضع ساقاً على ساق، ثم نقرتُ بجانب كفي على ركبتها فانتفضت رجلها بغتة فقلت لها: هذه صورة الحب لقد لمتُ العصب الحساس في ركبتك فانتقل الاثر حالاً الى العصب الشوكي وعاد منه بهذه الحركة الخارجة عن ارادتك. هذه ما يسمونه في الطب الفعل المنعكس Reflexe والحياة بكل ما فيها من تفكير واحساس وحب فعل منعكس، وكل شعور فينا يتحول الى قوة وحركة. فهؤلاء الشبان الذين يعاشرونك يتحملون منك مالا يطاق وحسبي مكس هذا الصديق الامين مثلًا فانه كلما تأثر بصره بمرآك واهتز عصب سمعه لنغمة صوتك وارتجفت اعصاب انامله بلمسها يدك يحدث فيه مثل ما حدث فيك عندما نقرت بكفي على ركبتك اي انه يتولد تيار من الشعور ينتقل الى المراكز العصبية ويعود منها بصورة حركة فلو كان مكس من المتوحشين لكانت حركته ان يهجم عليك ويضمك الى صدره ولكن تربيته تمنعه من ذلك فيكبت هذه الحركة ويحبسها في اعماق وجدانه وبالتكرار تتحول الى دموع وارق وسوداء وضيق صدر وغضب وغير ذلك من الحركات التي يضطرب لها توازنه وتكون خطراً على اعصابه. واذا بقيت الحالة هكذا فانا لا اضمن له السلامة من الجنون او الانتحار.

قالت: انتم الاطباء تتعلقون بالنظريات وتجعلون منها احكاماً لا تتبدل. اين اذن ما يسمونه بالحب الافلاطوني، هذا الحب العذري العفيف الاديب؟

قلت: ان الحب الافلاطوني الاديب في ظاهره هو ابعد شيء عن الآداب لانه يخلق في الانسان ظمأ لا يروى.

ففكرت غير قليل ثم قالت: وماذا تريد ان اعمل؟

— لماذا لا تتزوجين منه وانا ارى انك تميلين اليه؟

— نعم اميل اليه واقدّره قدره ولكنني تزوجت مرة واكتفيت. لا يا صاحبي دعني من ذكر الزواج فاني احرص على حريتي واحبها كما احب جمالي. انك لا تستطيع ان تتصور اللذة التي تشعر بها المرأة عندما تكون جميلة وترى على اقدامها هذا الجيش من العشاق يتفانون في سبيل رضاها.

قلت: ولكنها قوى ذاهبة ضياعاً بيننا في وسعك ان تستجديها اذا وقع اختيارك على واحد منهم فتوحي اليه اعمالاً سامية وتُعبّدي امامه طريق الابداع والمجد كما انك تفكين الآخرين

من الاسر . على كل فهذا المستقبل اجمل ما ينتظرك .

قالت وهي في شبه حلم : المستقبل ! اني اعرف مع الاسف ما يخبئه لي . — وماذا تعرفين ؟

قالت : أليس الموت النهاية وقبل الموت انحطاط القوى وذهاب الجمال ؟ عمري الآن ثلاثون سنة ولا اصل الاربعين الا اكون قد سقطت عن عرش جمالي .

قلت : اتخافين من الهرم ؟

قالت : اخاف الهرم ! لا لاني لا ادعه يقترب مني فبعد الاربعين السلام على الحياة

قلت : انتحار اذن ؟ — نعم .

فتبسمت تبسم المرتاب فقالت بجدة : انك لا تعرفني . هل راهنت في زمانك ؟ قلت : راهنت وخسرت .

— اتريد ان تكسب هذه المرة فانا مستعدة لاراهن ضدك اني سأتركك بعد عشر سنوات هذا العالم الذي يجذبني اليه من نواح عديدة ، اتقبل ؟

قلت : اقبل واذا عشنا الى ذلك الحين اكون قد ربحت للمرة الاولى . قالت — واراهنك ايضاً بعد هذه الفلسفة الطويلة العريضة فيما يخص مكس انه لن ينتحر على ملازمته لي

قلت : تلك مسألة اخرى وجل مناي ان لا تصدق مخاوفي فيه ولكن لا يسعني مخالفتك .

قالت : نحن اليوم في العاشر من كانون ١٩٢٠ فلنضرب موعداً لاجتماعنا في العاشر من كانون ١٩٣٠ في منزلي هنا .

ومضت ايام على هذا الحديث دون ان نعود اليه ثم غادرت باريس وبقيت ثلاث سنوات بعيداً عنها وكانت مثلي قليلة المكاتبة فانقطعت اخبارها عني ولما رجعت وجدتها كما فارقت لم يتبدل شيء من جمالها وحبها للحياة ، والعشاق من حولها على ازدياد ومكس في طليعتهم يقضي معظم اوقاته بين يديها وعلى قدميها . سألتها يوماً : ألا تزالين على عزمك ؟ فأجابت : ولم لا !

قلت : ستجدين من الاسباب ما يحبب اليك الحياة لان الحياة تجدد ابدا احلامنا وآمالنا . قالت : انك لا تزال شاباً فالاربعون ليست شيئاً للرجال ولكنها جحيم المرأة . امامي سبع سنوات قبل الوصول اليها فسأدافع ما استطعت الدفاع واتمتع ما امكن الاستمتاع .

ومرت ثلاث سنوات اخرى فجاءني منها يوماً وانا في الاسكندرية كتاب تقول فيه : ايها الصديق النائي عن العين القريب من القلب إني لا ازال جميلة كما تعهد وعزمي لم يتغير . عما قليل تبدأ اصابع الايام عملها الهدام فيّ وستمر السنوات الاربع الباقية لي كالحلم فانتظرك في العاشر من كانون . انا الآن في دوفيل فوافني اليها اذا شئت . حاشية : مكس بخير .

والتقينا في دوفيل فاذا بها لا تزال على حالها من الجمال والخفة والمرح الا انها بدأت تستعمل الحمرة والمساحيق على وجهها وظهر شيء من الانتفاخ تحت جفنيها وقليل من السمن في بدنها وخف لمعان اسنانها وخيل لي ان على شفتيها سؤالاً كنت احار سلفاً في الجواب عليه ولكنها لم تفه به . ثم فارقتها كالعادة ولم ارجع الى باريس الا اواخر عام تسعة وعشرين ولم يبق بيننا وبين الموعد سوى شهرين فهالني ما رأيتها عليه من التغيير السريع فقد انحنت تلك القامة الهيفاء وتجعد جبينها ووخط المشيب فوديها واختفى بريق الثغر ولم يبق لوجنتيها لون تحت تلك المساحيق الكثيفة ولا غرو فتلك حياة باريس الصاخبة تطوى فيها مراحل العمر بسرعة هائلة الا ان المرأة مهما تكن لا تلقي سلاحها بسهولة فكانت صاحبتنا تقضي الصباح في الاستحمام بالماء البارد والساخن وتمسيد البدن والوجه والرياضة كأنها تحاول بكل ما لديها ابعاد تلك الساعة المشؤومة وكان مكس لايزال على حاله منها لا يرى فعل السنين فيها ولا يملأ عينيه وفؤاده الا رسمها الذي طبع فيه لاول مرة .

وكنت اتجنب في اجتماعاتنا الاخيرة التلميح الى موضوع المراهنة وقد ظننت انها نسيته او تناسته الى ان حان الميعاد فارسلت تذكرني به وتدعوني الى طعام العشاء . وكنا وحدنا تلك الليلة فلما لعبت الشمبانيا في رأسها واخذ الطرب منها كل مأخذ قالت : ابشرك اني عدلت عن الانتحار وغداً اعمل بنصيحتك فأتزوج . قلت : وهل اخبرت مكس بعزمك هذا ؟ قالت لا بل احب ان اجعله له مفاجأة حلوة تكون هدية العيد فحمدت الله وهنأتها وهنأت نفسي على هذه الخاتمة السعيدة

وفي صباح الغد حمل اليّ البريد كتاباً منها تقول فيه : كنت امس صادقة في حديثي معك ولكن جرى ما لم يكن في الحسبان فقد دعيت بالتلفون بعد ذهابك الى دار مكس فوجدته في حال النزع بعد ان تجرع السم . هذا الحادث جعلني أوثر المضي في فكرتي الاولى فعندما تقرأ هذه الكلمات اكون في العالم الثاني بجوار من احب . لقد ربحت رهاناً وخسرت الآخر فتساوى بيننا الحساب . استودعك الله

يا له من رهان غريب كنت افضل فيه ان اربح حيث خسرت واخسر حيث ربحت .

نقولا فياض

من معجم المصطلحات العامة

بقلم عيسى اسكندر المعلوف

عضو المجامع العلمية في سوريا ومصر والبرازيل

وضعت هذا المعجم ليكون دليلاً لمن يطالع الكتب العربية المختلفة القديمة والحديثة او لمن يسمع الكلمات الغريبة فلا يجدها في المعجمات او انه يجدها باختصار كثير فلا يدري تحليلها واستقامتها ولهذا رأيت ضرورة وضعه في مجلد كبير مرتب على حروف الهجاء. واليك الآن امثلة منه :

ارتفاع البلاد : معناها ما يؤخذ عليها من الخراج والمال الاميري والجزية ، وردت في كتب الجغرافية والتاريخ فتقول مثلاً ارتفاع البلاد الفلانية الف درهم اي ان هذه القيمة تأخذها الحكومة منها

ارسطوقراط : ويراد بها في علم السياسة ان يتولى الدولة اشرافها وخاصتها يونانية مركبة من ارسطوس Aristos بمعنى شريف ووجيه وكراتوس Kratos بمعنى السلطة والحكومة فمفادهما (حكومة الاعيان)

اسفاسلار : ويقال اصفهلار ايضاًبمعنى رئيس العسكر او متولي الحجر اي الذي يعطي الاذن لمن يدخل المدينة او القلعة مركبة من (أسفه) بالفارسية بمعنى مقدّم و(سلار) بمعنى العسكر . وقيل الشطر الاول (سباه) بمعنى جيش . والعامة تقول (اسباسلار) للذي يقف في باب السلطان من الاعوان . وذكر المقر الشهابي ابن فضل الله في كتابه (التعريف) : ان هذا اللقب يختص بامراء الطبلخانات ولكنه ترك استعماله في عصره

إشبين : اصلها (شوشبينو) بالسريانية وهو من يقوم بخدمة العريس في عرسه

افوكاتو : ايطالية Awocato بمعنى الموفد وصارت بمعنى المحامي والوكيل فهي اشبه بكلمة (المدْرَه) عندنا

إلشي : تركيتها (أيلجي) بمعنى سفير او رسول

أنبا : قبطية بمعنى الاب يقولون الانبا مرقس اي الاب مرقس استعملها كتابنا في سورية ولبنان

بازار : لفظة فارسية معناها السوق . فقال فيها الاتراك (بازركان) بمعنى التاجر ونقلها الافرنج بلفظها الفارسي Bazar

بولشفيك : كلمة روسية بمعنى (الاكثرية) وهي حكومتها الحالية بعد الحرب الكبرى

البيجاما : الثوب الذي ينام فيه وهو المنامة عند العرب قال الكميت :

عليه المنامة ذات الفضول من الوهن والقرطف المخمل

التكية : فارسيتها (تكيه) بمعنى الزاوية او المنزل للخير والملجأ وتسمى بالفارسية ايضاً (خانكاه) وهي محل معدّ لحاجات الفقراء والمسافرين وغلب استعمالها لسكن الدراويش

التليفيزيون : هو (الهاتف) اي التليفون الذي يرى فيه الانسان محدثه كما يسمع صوته فيجمع بين السمع والبصر ويحسن ان يسمى (بالهاتف المصور) وقد عم استعماله في جميع انحاء عاصمة بريطانية (لندن) في اوائل سنة ١٩٣٥

التليكورد : الهاتف الذي ينقل الحديث ويدونه كتابة في الوقت نفسه . فاذا بدأ محدثك بالهاتف يتكلم تضغط على زر خاص فيدون التليكورد ما دار بينكما من الحديث ويحسن ان يسمى (بالهاتف المدون او الكاتب)

تيب ريتر : كلمة انكليزية بمعنى المنسخة وهي اولى من استعمال كتابنا لها (الكاتبة) لانها للنسخ وكلمتها الانكليزية تفيد معنى الكتابة بانبوب Type writer

التيبيكون : يونانية بمعنى مجموعة القواعد المنظمة لترتيب الصلوات والرتب والحفلات في الطقس البيزنطي

التيار : فارسية استعملها الاتراك بمعنى الاقطاعة التي كانت تعطى للعسكر قديماً وصاحبها تيارجي (اي اقطاعي) وتعطى الاقطاعة ايضاً للمريض وهي التيارخانه) اي المصحة او لمن يذهب الى الحرب وتسمى (تيار السيف)

الجبخانه : تركية من (جبه) الفارسية بمعنى (درع الحديد). و (خانه) بمعنى (محل) فتكون بمعنى المسلحة (اي محـل السلاح) و (جبه لي) الجندي المدرّع والمسلح

جامكية : فـارسية بمعنى وظيفة ومعاش فهي بمعنى (الراتب) جمعها جوامك يرادفها عند كتاب العرب في القرون الوسطى (علائف)

الحازوقة : لعلها من كلمة (هرزوقا) النبطية بمعنى المخنوق قال الاعشى : (حتى مات وهو محرزق) . وفصيحها عندنا (الفواق) بمعنى الريح التي تشخص من الصدر تتردد كالشهقة وامـا قولهم (عيادة المريض قدر فواق الناقة) فالمعنى ان زيارة المريض تكون زماناً يسيراً كزمان فواق الناقة اي الفترة بين الحلبتين

الحب العذري : منسوب الى بني عذرة وهم قبيلة عربية عرفت بالتعفف والتصوف رجالاً ونساء وهو الذي يسميه الافرنج (الحب الافلاطوني) نسبة الى افلاطون الفيلسوف اليوناني العفيف

الحك : او الابرة المغناطيسية التي يسميها الافرنج (بوسول Boussole) وهو آلة اشبه بالساعة ذات عقرب واحـد يميل الى الشمال والجنوب وهما قطبا المغناطيس يتخذ في المـلاحة البحرية لارشاد السفن الى جهات سيرها

الحلة : مجموع الثوب فالازار ما يكسو النصف الاسفل من الجسم والرداء ما يكسو النصف الاعلى وكلاهما الحلة

الخداوند : فارسية بمعنى السيد خففوها بقولهم اخُوند قال في كتاب آثار الاول طبع مصر الصفحة ٣٦ «وقال لـه (اي للسلطان) يا خداوند انت السلطان» وكانت طبقات عشائر لبنان اربعة اعلاها الامير ثم الخوند ثم المقدم فالشيخ فاهمل الخوند وبقيت الطبقات الثلاث وفي جهات صيدا اسرة (الخوند) الى يومنا(١)

الخريطة والخارطة : من كلمة (خارطس) اليونانية بمعنى الورق ومنها (الكارت) للبطاقة ويقال ان القرطاس من خارطس اليونانية . ويحسن استعمال كلمة (المخطط) لها بالعربية

الخندريس : فارسية من (خنده) بمعنى ضحك و(ديز) بمعنى (ساكب) فمعناها (جالب الضحك) وهو من اسماء الخمر

خورشيد : فارسية بمعنى (الشمس) و(شير خورشيد) اي الشمس والاسد وهو شعار الراية الفارسية ومنه اسم بعض اومية في دولة العجم

الداماد : لقب عند الاتراك يضعونه قبل اسماء الباشوات ومعناه عندهم الصهر الذي يتزوج ابنة السلطان او اخته

الدشت : اوراق منثورة من كتاب كان مجلداً فتفكك حتى لا يمكن احياناً ان يؤلف منه نسخة كاملة — فهو بمعنى الاضبارة وسماه ياقوت في معجم الادباء باسم (اُلجزاز)

الرستاق : ويقال الرزداق ايضاً معرب (راست) الفارسية بمعنى الخط القويم فاستعملها العامة بمعنى الترتيب والنظام

الزط : النَوَر وهم قبائل همجية رحالة من كلمة (جت) الفارسية اصلها من الهند فثارت وطردوها فاتصلت ببـلاد فارس واطلقوا عليها اسم (كَوُرْدَه) اي الرحالة ومنه اسمهم عندنا

السليح : سريانية بمعنى الرسول استعملتها الكتب الكنسية بلفظها السرياني

الضربخانه : اي محل سك النقود فارسية عربيتها المسكّ او دار السكّ

الطوب : تركية بمعنى المدفع والذي يشتغل بـه يسمونه الطبجي اي المدفعي . وجمعه طوبجية وتعريبها مدفعيون

الظرّان : جمع ظر بمعنى الحجر المحدد كالسكين من الصوان كان القدماء يتخذون منه ادوات جارحة . والطور الظراني يطلق على زمن اتخاذ الانسان ادواته من الظران اي الحجارة الى غـير ذلك مما يدل على المصطلحات المختلفة

عيسى اسكندر المعلوف — زحلة

---

(١) وذكر ابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات (الخوند) رتبة من الاعيان . وابن زنبل ذكر (الخوند) اسم امرأة

كان لمربيتنا ذنب

بقلم رشاد المغربي دارغوث

لم نكن نغفو قبـل ان تجلس مربيتنا فوق رؤوسنا ونحن متمددون في فرشنا المبسوطة صفاً واحداً في صدر القاعـة فتقص علينا قصة او قصتين مما وعته ذاكرتها التي لاينضب معينها. وفي هذه الليلة كانت (لميا) حزينة لموت صهرها في احدى جبهات القتال . وكان عبثاً توسلنا اليها :

— يا لميا ! قصة واحدة : التكرور والتكرورة . الله يخليك !

ولميا عبوس لا يفترّ لها ثغر ، على غير عادتها ، لنكات اخوتي الصغار وما ينشب بينهم من خلاف مستمر على اللحاف والمخـدة وعلى من ينام في الفراش الاول ومن يدير ظهره الى الجـدار او يضع المسند فوق رأسه . . .

فقلت لمربيتنا مؤاسياً :

— ما بك يا لميا ؟ ألم تشبعي اليوم ايضاً ؟

فقد كنا في ابان الحرب الكونية والرغيف يساوي ثقـله مالاً . وكانت اعاشتنا لا تكفي لاشبـاع بطون من في البيت جميعاً . فكان لزاماً ان يظل واحـد من العشرين او اكثر دون خبز كاف , على الرغم من ان امي كانت تعمد الى توزيع العجنة او الخبز المشترى على افراد العيلة منذ الصباح فيتسلم كل فرد نصيبـه ويقفل عليه درجه او خزانته .

ولكن هذا « حسن » — احد الخدم — يأكل كامل نصيبه من الخبز في وقعة واحـدة ثم يروح يسأل هذا لقمة وذاك نصف رغيف . فإذا لم يعطه احـدٌ ما يتبلّغ به عمد الى الاخـذ ما يريده عنوة واقتداراً او سرقة واختلاساً

فهزّت لميا رأسها الصغير المجعّـد والدمع يترقرق في عينيها الزنجيتين . وقلت متعجباً :

— ولكن اشترينا لليوم رطلين من الخبز ! وكنت مع الشيخ موسى عندما اخذ ثمنها ليرتين ذهباً من البابا واعطاها الى الفران !

فبكت لميا عنـدئذ وهبّ اخوتي يتعلقون بها ويسألونها عما اصابها . وانفجرت اختي الصغيـرة تبكي بدورها . وسرعان ما اقبلت امي يتبعها الخادمان حسن وصفا وعمـتي واولادها حتى امتلأت القاعة على رحبها وشعرت كأننا في حمام انقطعت ماؤه . وكان الفصل صيفاً اشتدت فيه الحرارة اشتداداً لم نعهده من قبل ولم يتيسر لنا الانتقال الى مصيفنا على الرغم من ان عمي كان قـد استأجر بيتاً فسيحاً هناك بانتظار قدومنا .

وراحت امي وعمتي يهدئان من روع لميا ويلطفان من حزنها فتقول عمتي :

— لم يبق قلب الا فجع يا لميا . . فاصبري ان الله مع الصابرين

وتقول امي :

— لا تحملي هم بنتك . . . سندعوها الى بيتنا فتعيش معك . . و « فطوم » صبية جميلة . . . الله كريم !

ولميا تزداد ألماً وتجهش بالبكاء . حتى وصلت الى حـدّ لم يعد باستطاعتها تجاوزه . فاحتبست الدمعة في عينيها واختنق العويـل في حنجرتها . ثم راحت تجفف خديها باطراف كمّها وتستر صدرها بنقابها وهي تدعو على من كان السبب في هذه الحرب التي يتّمت الملايين وارملت الملايين وتناجي الله :

— يا حي يا قيوم ، يا بديع السموات والارض !

ونمنا هذه الليلة واجمين نتخيل الحرب هذا البعبع الذي نخشاه او ذاك الغول الذي يختطف الاولاد اذا ابتعدوا في البستان عن اهلهم ، او ذلك الحوت الهائل الذي يبتلع القمر عند الخسوف .

وانقضت ايام لم نطلب فيها الى لميا حكاية ترويها لنـا او قصة تجلب بها النعاس الى اجفاننا المتوترة بمشاهد النهار ! فهؤلاء اطفال الجار يتزاحمون عند بابنا على قشرة برتقال رمى بها اخي . واولئك ابناء الجار الآخر يأكلون دماً مجففاً في وعاء من فخار . او بنـات الجارة الثالثـة يحمصن بذور الاكي دنيا ليطحنّها ويصنعن من دقيقها طعاماً كريهاً يقتتن به . . . وهذه الفتاة السائلة التي تقع مغمياً عليها فلا تصحو الا على رائحة قطعة من الخبز يحملها اليهـا محسن عابر ؟ وتلك المرأة التي أتي بها مكبّلة الى سجن

النساء لانها اكلت طفلها الرضيع .

غير ان ليا لم تنفك تجلس عند رؤوسنا تهز رأسها بحرقة وألم يزيدهما اضطراماً في بعض الاحيان سؤال مني او كلمة من اخي حتى نغفو . فتقوم الى غرفتها تهيء فراشها لتنام بقرب ابنتها ، او تساهر من لم ينم من افراد البيت : فتدخن لفافة او لفافتين وهي حزينة كئيبة .

ولم يكن وجود ابنتها فاطمة ليخفف من لوعتها على صهرها القتيل في ديار الغربة . بل كان وجود تلك الارملة التي لم تتجاوز السابعة عشرة من عمرها الى جانبها ليل نهار — والرجال اندر من الكبريت الاحمر — كان وجود فطوم ، تستر شعرها بنقاب ابيض وتمتنع عن كل زينة ، في ثياب عرسها التي رثت ، كافياً لاستدرار دمع الام التي لم ترزق غيرها ، فربّتها بنور العين وذوب القلب ، وزفّتها الى احمد فوّال في البلدة . مؤملة ان تعيش وابنتها في كنفه عيشة رخاء وهناء مدى الحياة .

غير ان ليا تذكر تماماً ما شعرت به اذ جاء صهرها يودع عروسه ويودعها قبيل رحيله الى اليمن في سرية من المجندين . فقد شعرت ان هذا الوجه الذي كان يحمل الى نفسها الطمأنينة ويبعث في قلبها الامل قد غُيّب عنها الى الابد فبكت طويلاً وفاطمة ابنتها تقبل يد زوجها مودعة بحياء وخجل وهي تقول :

— لا تطول علينا يا احمد ! الله معك ورسوله يرعاك !

والام في مثل غيبوبة الحالم ترى ما لا يراه المبصرون ، وتتخيل الغد مظلماً قاتماً فتسود في عينيها حتى وجوه من حولها .

فلما نعت السلطة العسكرية احمد الفوال الى من تبقى من اسرته واتصل الخبر بزوجته نقلته هذه الى امها باكية منتحبة وهي تقول :

— يا طول رماتي وعذابي يا امي ! اخذوه قبل ان اتهنا . وبعد طول الصبر جاءني خبر موته ! يا ذلّي ويا طول همي !

فلم يكن للفجيعة في مظهر ليا ما كانت ابنتها تتوقعه عندها فقد مات احمد الفوّال في نفسها منذ تخطت قدماه عتبة البيت ثلاث سنوات خلت . ولكنها كانت تغالط تلك النفس وتعلل ابنتها بالآمال كلما شكت اليها الوحدة او ضيق ذات اليد . حتى كان اليوم المشؤوم . فقالت ليا لابنتها وهي تنهنه دمع الفتاة وتحتضنها باشفاق ورحمة :

— هل كنت تنتظرين عودته حقاً يا بنتي ؟ وهل عاد غيره حتى يعود هو ؟

ودام الحال كذلك اشهراً كدنا نفقد في اثنائها عادة النوم على قصة او حكاية . فلم نعد نطالب ليا بشيء من ذلك . وكأنها تألمت لاستغنائنا عن قصصها (الرائعة) وحكاياتها (البديعة) — وزادها ألماً هذا الاعراض منا عن الالتفاف حولها ومباسطتها رجاء ان تتحفنا ببعض ما تختزنه حافظتها من اخبار الاولين والآخرين ، او بنكتة من تلك النكات التي يعزونها الى جحى او ابي نواس — فراحت تشحذ شهوتنا الى سماع تلك الاقاصيص في شتى المناسبات وبشتى الوسائل . فهي تخشى ان يكون ذلك الاعراض بدء شعور البيت بالاستغناء عنا وهي التي لا تؤدي فيه كبير خدمة سوى مداراتنا والسهر على راحتنا . وهي تخشى ان عرضت علينا قصصها عرضاً ان نمعن في الزهد بها والاستخفاف برواياتها .

وقد بلغ ألمها ذروته يوم جاءت الينا وقد اجتمعنا في غرفة النوم حول اخي الكبير نستمع منه الى اخبار الزير ابي ليلى المهلهل وعنترة العبسي يقصها علينا كما حفظها من فم الحاج سعسع . فنطرب لها طرباً شديداً ونصفق لكل ضربة سيف تصفيق هواة الرياضة لكل اصابة هدف محكمة .

وقفت ليا في الباب وقد امتقع لونها وتغيّرت ملامحها ثم ترقرقت في عينيها دمعتان ابت كبرياؤها ان تطلق لهما العنان . فمسحتهما عن انفها بطرف نقابها واقبلت علينا تخاطب اخي منتهرة اياه بصوت حازم :

— شو هيدا يا يوسف ! انت ما تعرف تحكي . هذه قصص مفسدة . لو عرف ابوك ماذا كان يفعل بك ؟

ثم اقتعدت مكانها من مجلسنا وراحت تقص علينا قصة التكرور والتكرورة ونحن نهوّم من النعاس :

— « . . . وكان التكرور يسبح في النهر ! ويا فرحته عندما اقبلت التكرورة صوبه . ولكنه لما رآها معرضة عنه قال لها : يا هرشة يا مرشة ليش رشّيت عليّ رشة ؟ قالت له التكرورة : بتقول لي يا هرشة يا مرشة وانت اللي بتموت بين ايدي في الفرشة ! طيب انا بفرجيك ! . . »

فلم تصل الى هذا الحد حتى كنا اغفينا جلوساً ولم يبق مستيقظاً الا اخي يوسف ينظر الى ليا بعينيه الواسعتين متعجباً وبوده ان يقول لها :

— اقصتك المفسدة ام قصتي ؟

ومنذ تلك الليلة بدأ صراع بين اخي يوسف راوية الزير

وعنترة وبين لميا صاحبة التكرور والتكرورة وبنت الملك والشاطر حسن والجان وبساط الريح — صراع انتهى الى خصام وجدنا انفسنا فيه حزبين متناحرين . فكنا نجلس للقصة متقابلين كأحزاب المجالس النيابية . كلما حكى يوسف خبراً من اخبار عنترة شوش عليه الحزب المعارض وخنقوا صوته كما شوشنا بدورنا على لميا واخرسناها بضجيجنا وصراخنا .

وسرت الحزبية من مجتمعنا الصغير الى ابناء الجيران والانسباء وراح كل من هؤلاء وهؤلاء يستكثر من اصحابه ويبث دعاوة ضد خصومه . فيقول يوسف :

— ان قصص الجان التي ترويها لميا لا صحة لها ابداً

فترد عليه لميا بلسان احد اتباعها :

— ان الجان موجودون ومن ينكر وجودهم يكفر بالله !

فيجيبها احد اقطاب الحزب (اليوسفي) :

— لو كان ذلك صحيحاً لكانت لميا في سحنتها السودانية وعينيها البراقتين ام اولئك الجان !

ويقول احد دعاتنا :

— اتعرفون يا اولاد ! ان للميا ذنباً !

فيرد عليه الحزب الآخر بدعاوة مضادة :

— بل ان ليوسف قرناً !

وينتشر الخبر الاول بسرعة البرق حتى يكاد حزب لميا نفسه يصدقه . فقد يكون تحت هذه السراويل التي تصل الى كعبيها كالجرابات (الكلسات) وفي ثنايا هذه (التنورة) الفضفاضة ، قد يكون هناك ذنب تخفيه الثياب ! بينا لا يمكن لشعر يوسف المقصوص على (النمرو واحد) ان يخفي قرناً مهما دق حجمه وصغرت مقاييسه .

واخيراً قرر الحزب التحقيق في القضية وقص ذلك الذنب عند اللزوم . فرسم يوسف الخطة وكلف كلاً منا شطراً من العمل لتنفيذها باحكام : فأنا احمل المقص ، ويمسك سعيد بالحبل وخليل بالعصا وتمسك هند لسانها حتى الحاجة الى صراخها ، وتكفل هو بالباقي .

وفي الموعد المضروب جلسنا في غرفتنا نكظم ضحكة تملأ بها صدورنا وشيئاً من الغيظ يطفو على تلك الضحكات الصبيانية التي نفقد الرغبة فيها كلما تقدمت بنا السن . وانتظرنا قدوم لميا وحزبها من المطبخ حيث كانوا يغسلون ايديهم بعد طعام العشاء .

وما هي الا لحظات حتى اقبلت مربيتنا ووراءها اثنان من اخوتي ، يمشون بخيلاء مصطنع وكبرياء متكلف والبسمة على شفاههم والسخرية في ارنبات انوفهم . فما تخطت لميا عتبة الباب حتى انقلبت على ظهرها وبدأت مهمتنا .

وعبثاً كان يجدي عن الذنب لاقصه وهي تتخبط بين يدي خليل وسعيد وقد شدا ساقيها بالحبل والعصا على طريقة (الفلق) وهي تصرخ :

— يا شياطين ! الله يجازيكم ! اتركوني اتركوني !

ويوسف جالس هناك في الزاوية الشرقية يصدر اوامره صامتاً لا يحرك ساكناً كأن ما يجري لا يعنيه او كأنه لا يرى هذا المشهد الرائع يمثل بين سمعه وبصره .

وتقوم لميا تقع مرة ثانية تتزلج قدماها العاريتان فوق البلاط الاملس المطلي بالصابون وهي تنهقه هذه المرة بل ء شدقيها قهقهة سرور غريب . ثم تقبل على يوسف وتأخذه من اذنيه فيضطرب بين يديها كالارنب ونحن نكاد نستلقي على ظهورنا وهي تقول :

— عملتها معي يا خبيث ! طيب ! سنذهب غداً الى البستان كلنا ما عداك !

فنقبل جميعنا على لميا نتساءل عن صحة ما تقول وصدقه فتؤكد لنا ذلك وانها ستهيء (الزوادة) منذ هذا المساء وانها ستطبخ لنا هناك في البستان (رشتاية بحليب) ايضاً فنأكلها في ملاعق من ورق الليمون لا ملاعق معدنية !

ولئن لم تستفز يوسف النزهة الى البستان فقد استفزه حرمانه من هذا الطعام الذي يفضله على كل طعام آخر . ويوسف فينا بطل من ابطال الصحون . فقام لساعته وقد قرأ في عيني لميا الجد كل الجد وتعلق باذيالها مسترحماً طالباً الصفح .

وكانت هدنة بين الحزبين بعد ذلك انتهت الى عقد الصلح بعيد اعلان (الهدنة) بعد الحرب الكونية المنصرمة . فقد فتحت المدارس وانصرفنا عن قصص الجان وعنترة الى طلب العلم وانصرفت لميا وابنتها (فطوم) الى البحث عن خليفة للمرحوم !

رشاد المغربي دارغوث



دنيا الطير

انا لا احسد الملوكَ على الملكِ . ولا هزّني الغنيُّ المحسّدْ .
كلّ دنيا الانسان كدٌّ وكيدٌ . واضطرابٌ في مبهمِ السبلِ ، أسود
انمــا احسدُ الطيورَ ، وراء الصبحِ ، هبتْ تدغدغ الصبحَ ، تُشرّدْ
قنعتْ بالكفافِ ، فانبسطَ العيشُ ، وأغفى ، لا يعرف الهمّ ، أسعد
عيشُها بُلغةٌ من الماءِ والحبّ ، واطماحُها فضـاءٌ موردْ
قصرها قبضةٌ من الريش والقشّ ، على شاردٍ من الغصن ، أملدْ
السماوات عرشُها . والبساتينُ مداها . والجدولُ الحلوُ مورد
تردُ الحُبّ ، مثل ما تردُ الماءَ . وتقضي مع المنى دون ما حـدّ
الف طوبى للطير ، لم تدرِ ما العلم وقد شوّه الحياةَ وعقّدْ
الف طوبى للطير ، ما عرفتْ ديناً . ولا قال طائرٌ انت ملحد
الف طوبى للطير . ما وطن الطير سوى بيتها الصغير الممهّدْ
عله‍ا العيشُ ، لا يَشُقُّ ، بسيطٌ ، لا يرودُ الماضى ، ولم يدرِ ما غَدْ
دينُها ؟ ما ديانة الطيرُ الاّ ان تكونِ الصبح إذْ يتفصّدْ
او تكون الربيع صفّق يدعو كلّ حيٍّ الى الحياةِ ، وزغرد

◘

كلُ هذي الحياة للكلّ . دنيا الله ليست «لأبيضٍ» دون «اسود»
ان داءَ التملّك ، الداءُ ، ألقى في ضمير الحياة سماً فأفسد
ذلك الداء منذ ان حلّ بالانسان شاهت حياته وتمرّد
اخذته الاطماعُ ، واختنق المسكينُ في متخمٍ من العيش أنكد
ملكَ الارضَ والنساء . وهذا العقلُ ، قيدٌ في فيك يَطوى ويُعقدْ
كنزكَ المال ، قتلك العيش . لكن اين من يفهم الحياةَ ويشهد

◘

إيه دنيا الانسان . دنيا الأباطيل . اما آن ان يُحلّ المقيّد ؟

وصفي قرنفلي — حمص



كتاب الزمرذ لابن الراوندي

بقلم باول كراوس

استاذ اللغات السامية بكلية الآداب في جامعة فؤاد الاول

منذ أن نشر كتاب «الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد» لابي الحسين الخياط المعتزلي (المتوفي سنة ٣٠١) [1] برزت شخصية ابن الراوندي الغريبة من الغموض الذي احاط بها الى ذلك الحين واتضح — الى حد ما — الدور العظيم الذي قدّر لها على مسرح الحياة الاسلامية في القرن الثالث للهجرة . فبعد ان كانت اقتصرت معرفتنا بها على ما ورد في كتب التاريخ وكتب الطبقات من المعلومات السطحية «البرّانية» أصبح الآن المعني بتاريخ الفكر الاسلامي يمسّها مسّاً ويشهد تطورها المندفع الذي رفعها اولاً على اعواد منابر الاعتزال وجعل منها رئيساً من رؤساء مذهبهم ، ثم ادت ثورة ابن الراوندي عليهم الى طرده من مجالسهم والى ردوده العديدة عليهم ، تلك الردود التي اصبحت «دار سلاح» لكل من قصد من المتأخرين الطعن في المعتزلة وتفضيح آرائهم ، ثم ألقى به تطوره في اوساط الشيعة على مختلف اصباغها ، حيث التقى بصديقه وشريكه في التزندق أبي عيسى الوراق الذي هداه الى الالحاد الصريح او الى التصريح بافكاره الحرة وخروجه على الديانات جميعاً . «ذكر ابو علي الجبّائي ان السلطان طلب ابن الراوندي وأبا عيسى الوراق ، فأما ابو عيسى فحبس حتى مات واما ابن الراوندي فهرب . . . . ثم لم يلبث الا اياماً يسيرة حتى مرض ومات»

وقد روى لنا المسعودي في مروج الذهب ان موت الوراق وقع في سنة ٢٤٧ وان ابن الراوندي مات برحبة مالك بن طوق ، وقال غيره انه مات في سنة ٢٤٥ او سنة ٢٥٠ وعمره ست وثلاثون او اربعون سنة فقط ، على ما كان له من الكتب المصنفة التي جاوزت المائة . [1]

الاستاذ باول كراوس

لم يكن الى الآن في ايدينا الا كتاب «فضيحة المعتزلة» لابي الحسين احمد بن يحيي بن اسحاق الراوندي الذي رد الخياط عليه وأورد منه فصولاً مطولة في كتابه الانتصار . وهذا المؤلف يمثل لنا الدور الثاني من حياة ابن الراوندي ، ان صح التقسيم الذي اقترحناه قبل . اما كتبه الالحادية — مع اهميتها لمعرفتنا بهذا التيار في التاريخ الاسلامي — فقد ضاعت كلها ومن بينها خاصة كتاب الزمرذ حتى أن بعض المحدثين ظن انها لم تؤلف وانما نسبها خصوم ابن الراوندي اليه او حرّف معانيها لفضيحته والتشهير به .

(١) نشره المستشرق السويدي فيبرج في القاهرة ١٩٢٥

(١) راجع ترجمته في مقدمة نشرة كتاب الانتصار وفي مقالتنا في Rivista degli Studi Orientali ج ١٤ (١٩٣٤) ص ٣٧١ الخ

إن للكتب حظوظاً ! أثارت مصنفات ابن الراوندي هذه ضجة لا مثيل لها في أوساط المتكلمين والفلاسفة الذين عاصروه أو جاءوا بعده، فقد رد عليها يعقوب بن اسحاق الكندي وابو نصر الفارابي الفيلسوفان وابو سهل اسماعيل بن علي النوبختي رئيس الامامية (المتوفى سنة ٣١١) وابن اخته ابو محمد الحسن بن موسى النوبختي، ومن المعتزلة الخياط وابو بكر الزبيري وابو القاسم البلخي الكعبي (المتوفى سنة ٣١٩) وابو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي (المتوفى سنة ٣٠٣) وابنه ابو هاشم عبد السلام (المتوفى سنة ٣٢١)، وكذلك ابو الحسن الاشعري وابو بكر محمد بن عبد الله البرذعي الخارجي وابن درستويه النحوي واخيراً ابو علي محمد بن الحسن بن الهيثم الرياضي والفلكي المشهور (سنة ٤٣٠) الذي كتب مقالة عنوانها «في ايضاح تقصير أبي علي الجبائي في نقضه بعض كتب الراوندي ولزومه ما ألزمه اياه ابن الراوندي بحسب اصوله وايضاح الرأي الذي لا يلازم معه اعتراضات ابن الراوندي»[1] ولم يبق لنا من مصنفات ابن الراوندي تلك ولا من الردود العديدة عليها الاّ واحد، حفظته لنا ظروف غريبة وسترته عن أعين الباحثين الى هذا الحين

أذكر ايها القارئ. تلك المكاتبة التي وقعت بين ابي العلاء المعري و «داعي الدعاة» في تحريم اللحوم التي عرفت خاصة بما اورد منها ياقوت الحموي في إرشاد الاريب . كان هذا الداعي الاسماعيلي الفاطمي الذي يحاول ان يكشف عن سر مقاصد المعري في كراهيته لأكل اللحم مجهولاً أوكاد، الى ان ظهرت شخصيته من المكتبات السرية التي احتفظت بها الطوائف الاسماعيلية البُهْروية القاطنة في الهند وفي اليمن وفي الشام ايضاً . فاذا به ابو نصر هبة الله بن موسى بن أبي عمران الشيرازي المعروف بلقب المؤيد في الدين داعي الدعاة أي رئيس الدعوة الاسماعيلية الفاطمية في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله الذي ولي مصر من سنة ٤٢٧ الى سنة ٤٨٧ . وقد وصل الينا — بين كتب الخزائن الاسماعيلية السرية — من مؤلفات المؤيد الشيرازي هذا «سيرة» مطولة يصف فيها المؤلف حوادث حياته منذ ان ابتدأ دعوته في بلاد الفرس حتى ناداه خليفته وإمامه الى مصر حيث تولى شئون المذهب الفاطمي الدينية ورياسة «دار العلم» التي انشئت في جانب الازهر . وله ديوان يدل على شاعرية الرجل يمدح فيه المستنصر ويضبط فيه نكتاً من مذهب الاسماعيلية ويعبر فيه عن سرية دعوته إذ يقول عن نفسه

(١) راجع ابن ابي اصيبعة ج ٢ ص ٩٧

رضيت التستر لي مذهباً   وما أبتغي عنه من معدل

ولكن اهم مؤلفاته «مجالسه» او محاضراته التي القاها في دار العلم بالقاهرة وهي ثمانمائة مجلس في ثمان مجلدات كبار يتناول المؤيد الشيرازي فيها موضوعات اسماعيلية شتى — دينية كانت او سياسية او تأويلية او ادبية — وفي ثنايا هذه المجالس يتلو على سامعيه نص مكاتباته مع أبي العلاء المعري وكذلك نص رده على كتاب الزمرذ لابن الراوندي ذاكراً خلاله نبذاً مفصلة عن هذا الكتاب المفقود[1]

يشمل رد المؤيد الشيرازي على كتاب ابن الراوندي المجالس السابع عشر الى الثاني وعشرين من المائة الخامسة من المجالس المؤيدية وانا اورد لك بعض منتخبات منها تطلعك على مغزى كتاب ابن الراوندي وقيمته من الوجهة التاريخية

يبتدىء المؤيد مجلسه الـ ٥١٧ بعد حمد الله والصلاة على رسوله «معشر المؤمنين، جعلكم الله بعلائق الدين متعلقين (ومن خشية ربهم مشفقين» . إنه وقع الى احد دعاتنا تصنيف صنفه ابن الراوندي عن ألسنة البراهمة في رد النبوات، وإبطال مراتب من اقامهم الله تعالى لتبليغ كلامه ورد الرسالات، فاجاب عنه بما رماه فيه بقاصمة ظهره، إبطالاً لما اتى به من صريح الكفر . ونحن نقرؤه عليكم ونسوق فائدته اليكم بمشيئة الله وعونه .

«بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الناجي من استظل عليه بانبيائه فهم له مسلمون المستبصر من طلب الاستبصار من جهتهم اذ الملحدون عنهم عمون، الموضح سبيل الهداية بهم ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون، وصلى الله على من ختمت نبوتهم به خاصة وعليهم عامة، وعلى التابعين لهم باحسان الذين لهم ذرية إيمان . (اما بعد) فانه وقعت الينا رسالة عملها ابن الراوندي وسماها «الزمرذة» ونسبها الى البراهمة في دفع النبوات، وذكر فيها حججاً يحتج بها مثبتوها في إثباتها وحججاً يحتج بها نافوهـا في نفيها . فوقع الغنى عن اعادة قول المثبتين الذين هم اخواننا في الدين ووجب اقتصاص اقوال النافين والاجابة عنهم، بما نستمد التوفيق فيه من رب العالمين .

«قال ابن الراوندي : ان البراهمة يقولون انه قد ثبت عندنا وعند خصومنا ان العقل اعظم نعم الله سبحانه على خلقه وانه هو الذي يعرف به الرب ونعمه ومن اجله صح الامر والنهي والترغيب

(١) نشرت هذه المجالس مع شرح مطول في مجلة Rivista المذكورة ص ٩٣–١٢٩ وص ٣٣٥–٣٧٩

والترهيب . فان كان الرسول يأتي مؤكداً لما فيه من التحسين والتقبيح والايجاب والحظر فساقط عنا النظر في حجته واجابة دعوته . اذ قد غنينا بما في العقل عنه ، والارسال على هذا الوجه خطأ . وان بخلاف ما في العقل من التحسين والتقبيح والاطلاق والحظر فحينئذ يسقط عنا الاقرار بنبوته . هذا نص كلامه »

لعلك تتعجب من جسارة ابن الراوندي في معارضته للانبياء وكيف يجرؤ ان يقدر قدرهم بمساحة العقل الانساني ، ذلك العقل الذي قال عنه بعض المتأخرين :

نهاية اقدام العقول عقال — واقصى مدى العالمين ضلال

ولكن لا تنس ان عصر ابن الراوندي كان عصر « تنوير » اعتمد فيه كل من سعى الى المعرفة على نور العقل وحده . ادى اصطدام الاسلام بثقافات الشرق القديمة والتي اصبح هو وارثها الى ازمة فكرية من خصائصها البارزة اقبال كثير من المثقفين الى القيم الثقافية المكتشفه حديثاً

لست في حاجة الى ان اذكرك بما كان لعلوم القدماء من الهند واليونانيين من الاثر العميق في تلك الثورة الفكرية والى اي حد وسعت النظريات الفلسفية والفلكية والطبية والطبيعية الكيمائية افق المعارف ومكنت المفكرين من تشييد نظرة جديدة عن العالم ولا حاجة لي ايضاً الى ان اذكرك بما ادى اليه التقاء الديانات المختلفة تحت ظل الاسلام والمناقشة الحرة بين اصحابها التي كان خلفاء بني العباس الاول يسمحون بها او يشجعونها وما كان لها من الاثر في تشحيذ اسلحة المتكلمين وتصقيلها . لان ما هي تلك الظاهرة التي نسميها « الكلام » ولا سيما كلام اهل الاعتزال الذي بلغ ذروته في جيل ابراهيم النظام وابى الهذيل العلاف والمعمّر بن عبّاد السلمى وغيرهم ، الا نصرة الاسلام امام حجج الفلاسفة الدهريين وانصار المذاهب الطبيعية المختلفة وتصورات فرق الزنادقة من انصار ماني وابن ديصان ومزدك وآراء اهل الملل القديمة التي استعدت منذ امد بعيد بعُدّة الاستدلالات المنطقية العقلية على صحة عقائدها . فقد اهتدى متكلمو الاسلام الى ان يستعملوا في مناظراتهم بل في مكافحتهم لمخالفيهم نفس الاسلحة التي هوجموا بها وان يجعلوا العقل معياراً لجميع آرائهم ومحوراً يدور حوله كل تفكيرهم ، حتى إنهم لم يقبلوا امام انفسهم عقائد دينية تخالف العقل وصار الاسلام وجميع مظاهره مقيساً بهذا المقياس

فاذا رأينا ابن الراوندي يقيس النبوة والديانات عامة بمقياس العقل فانه في هذا وفي غيره تلميذ لأستاذيه (١) من أهل الاعتزال الذين خرج عليهم بعد ان كان اختلف الى مجالسهم . والفرق الوحيد بينه وبينهم انهم يأخذون بالعقل والنُطق للانتصار لعقائدهم الاسلامية بينما هو يستعمل نفس العدة في عكس مقاصدهم ، لسوء ظنه بما كان يدين به من قبل

ليس موقفنا من مثل هذه النصوص اليوم موقف المتكلمين القدماء الذين كان من شأنهم بل من واجبهم ان يردوا عليها ويظهروا ضلالات مؤلفها فيها . لسنا الا مؤرخين لحركة فكرية ظهرت في قلب الاسلام واصبحت فيه من اقوى الخمائر على تطور الثقافة الاسلامية وإنضاجها . وعندي أنا لا نستطيع ان نفهم انفساح الحضارة الاسلامية في شتى مظاهرها الا إذا درسنا تلك القُوَى المحركة الكامنة التي من اهمها نهضة التفكير الحر في الاسلام .

يظهر ان كتاب ابن الراوندي كان نقضاً للاديان المختلفة غير ان ما وصلنا منه يتصل خصوصاً برد المؤلف على الاسلام والمسلمين وقد نبه على هذا ابو الحسين الخياط في كتابه (٢) إذ يقول ان ابن الراوندي « ذكر في كتاب الزمرذ آيات الانبياء عليهم السلام كآيات ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم فطعن فيها وزعم انها مخاريق وان الذين جاءوا بها سحرة ممخرقون وان القرآن الكريم من كلام غير حكيم وان فيه تناقضاً وخطأ وكلاماً يستحيل ، وجعل فيه باباً ترجمه (على المحمدية خاصة) يريد امة محمد صلى الله عليه . — والواضح ان ما يستفضحه الخياط في تسمية ابن الراوندي فصلاً من كتابه بالرد على المحمدية ، انه في جسارته يسمي الاسلام باسم مؤسسه كأنه فرقة من الفرق ، فضلاً عما في هذه التسمية من المقاصد الخفية إذ ان ابن الراوندي يضع آراءه وردوده على لسان البراهمة الذين كأنهم ينظرون الى الاديان عن بعد .

هذا ولنذكر بعض القطع التي اوردها داعي الدعاة المؤيد الشيرازي عن كتاب الزمرذ الذي يدعي مؤلفه فيه « انه بجناح عقله وجد في آفاق المعارف مطاراً واقام لنفسه من المجد بمعرفة مغيبات الامور مناراً . »

كان من اهم المسائل التي تداول المتكلمون البحث عنها في مجالسهم مسألة المعجزات التي رواها اصحاب السيرة والقصاص عن

(١) جمع « استاذ » عند القدماء دائماً «استاذون» وليس «اساتذة»
(٢) الانتصار ص ٢ ، وايضا ص ١٥٥ و١٧٣

النبي ، ومن المعروف ان اقطاب المعتزلة وعلى رأسهم ابراهيم النظام نفوا هذه المعجزات اذ كانوا يعتبرونها غير جديرة بجرمة الاسلام ورفعة نبيه . اما ابن الراوندي فانه يقول بعين هذا القول إذا استثنينا الصبغة العدائية التي يصطبغ بها عنده . فاصغ اليه إذ يتحدث عن حديث الميضأة وشاة أم معبد وحديث سراقة وكلام الذئب وكلام الشاة المسمومة : « ان المخاريق شتى وان فيها ما يبعد الوصول الى معرفته ويدق على المعارف لدقته وإن اورد اخبارها بعد ذلك عن شرذمة قليلة يجوز عليها المواطأة على الكذب . » ويقول « اما تسبيح الحصى وكلام الذئب وما يجري مجراهما فقد تنكره العقول »

وبعد كلامه في المعجزات عامة يتناول ابن الراوندي مسألة إعجاز القرآن ، تلك المسألة التي لها الاهمية الكبرى لا في العقائد الاسلامية فقط ولكن في العلوم اللغوية والبيانية ايضاً . ومن المعروف ان المتكلمين القدماء عالجوا مسألة الاعجاز من وجهتين ، فبينما قال اكثرهم باعجاز القرآن اي بعدم مقدرة الانس على محاكاته والاتيان بمثله من جهة لفظه ونظمه وتأليفه كان المتطرفون منهم وعلى رأسهم ابراهيم النظام يرون ان مثل هذه الحجة البلاغية لا تكفي للدفاع عن اوحدية الكتاب المنزل فنفوا ان يكون نظم القرآن وتأليفه حجة على تنزيله وقالوا بإعجازه من جهة المعاني فقط ، وها نحن اولاء نرى ابن الراوندي يدخل بجرأته في تلك المناقشة إذ ينفي اعجاز القرآن الكريم من الجهتين معاً .

قال ابن الراوندي في القرآن على ما رواه المؤيد الشيرازي :

« إنه لا يمتنع ان تكون قبيلة من العرب افصح من القبائل كلها وتكون عدة من تلك القبيلة افصح من تلك القبيلة ويكون واحد من تلك العدة افصح من تلك العدة » الى حيث قال « وهب ان باع فصاحته طالت على العرب فما حكمه على العجم الذين لا يعرفون اللسان وما حجته عليهم ! »

هذا وانني لاظن من المفيد ان اروي لك بعض ما أتى به داعي الدعاة في رده على ابن الراوندي في هذه المسألة لا سيما اذ يطلعك جوابه على ما كان عليه الاسماعيلية من المذهب في مسألة إعجاز القرآن التي نحن فيها . قال المجيب : « ان الكلام الفاظ مقدرة على معان ملائمة لها والكلام كالجسد والمعنى فيه روحه . ومعلوم ان الاجساد من حيث كونها اجساداً لا تتفاوت تفاوتاً كثيراً . فانها وان رجح بعضها على بعض من حيث استقامة النظم وحسن الهندام فهو امر قريب وليس كذلك التفاوت من جهة النفوس التي هي المعاني . فان نفساً واحدة تقع بوزان الخلق كلهم من حيث افتقار النفوس اليها والحاجة الى الامتياز منها . والقرآن كلام هو بمثابة الجسد ومعناه روحه الذي كنى الله سبحانه عنه بالحكمة فلم يذكره في موضع من الكتاب الا قرنه بالحكمة . وقد قاربت ايها الخصم بالاقرار بكونه معجزاً من حيث لفظه للعرب الذين هم اهل اللسان ثم اردفته بقولك « فما الحجة على العجم الذين ليسوا من اللسان في شيء . ! » فنقول ان في معناه المكنى عنه بالحكمة ما يقوم به الحجة على كل من تفتق بالكلام لسانه على جميع اللغات وسائر العبارات . والحجة فيه ان ما كان ظاهره الذي هو بمنزلة الجسد الذي لا يتفاوت بعضه عن بعض كثير التفاوت بهذه المثابة من الاعجاز فما يقال في معناه الذي هو بمنزلة نفس شريفة تفتقر النفوس اليها كلها . فأين موقعها من الاعجاز ! »

على ان ابن الراوندي لم يكتف بنفي الاعجاز من جهة اللفظ ، بل يجاوز هذا الى نقض القرآن من جهة المعاني ايضاً فقد روى عنه داعي الدعاة وكذلك ابن الجوزي في تاريخ المنتظم وعبد الرحيم العباسي في كتاب معاهد التنصيص وغيرهم كثيراً من المطاعن التي طعن بها في القرآن الكريم . وان اردت ان تقف على مطاعن الزنادقة عامة على القرآن الكريم وعلى ردود المتكلمين عليهم فاقرأ خصوصاً كتاب « تنزيه القرآن عن المطاعن » للقاضي عبد الجبار المعتزلي (المتوفي سنة ٤١٥) وقد طبع هذا الكتاب في مدينة القاهرة في سنة ١٣٢٦ . وقد تعرض ابن الراوندي لسيرة النبي بسوء وليس هنا مجال ذكر الامثلة

وكان عصر ابن الراوندي على الاعتقاد بأن العلوم كلها ترجع الى الانبياء ، وان الانبياء هم الذين حصلوا عليها وحياً او توقيفاً وعلموها الناس . وقد يسفه ابن الراوندي هذا الرأي اذ يقول إن العلوم والمعارف عامة لم تنشأ للانسانية عن توقيف او وحي بل عن إلهام مستعملاً ذلك الاصطلاح بمعنى البديهة الفطرية التي يمتاز بها الجنس الانساني كافة . ويقول مثلاً في علم النجوم « ان الناس هم الذين وضعوا الارصاد عليها حين عرفوا مطالعها ومغاربها ولا حاجة بهم الى الانبياء في ذلك . ويعارض ايضاً رأي من يقول إن اللغات المختلفة نشأت من توقيف على الانبياء . اذ يرى « ان الكلام مستملى عن الوالدين صاعداً قرناً فقرناً الى ما لا نهاية له » وقد نبه داعي الدعاة على ان ابن الراوندي ترقى في هذا القول من حد دفع النبوات الى القول بقدم العالم

واعجب من هذا كله السبب الذي دعا ابن الراوندي الى تسمية كتابه بالزمرذ . فلم يختر اسم حجر ثمين عنواناً لكتابه لان

يدل على قدره وارتفاع قيمته كما عمل في عناوين كثير من كتبه الاخرى مثل كتاب التاج ، وقضيب الذهب ، والفريد ، وما اليها بل انه اختار هذا العنوان لغرض اخبث مما يظن الظان . فقد اعتمد فيه ابن الراوندي على القصة الشعبية اليونانية الواردة في كثير من كتب العجائب والغرائب بأن من خاصة الزمرد انه اذا رآته الافاعي وسائر الحيات عجبت وسالت اعينها . قال : فكان قصدي ان الشبه التي اودعتها الكتاب تعمي حجج المحتجين »

فاعتقد ان ما اورده عامل في حجج اهل الشرائع حسب ما اثر الزمرد في حدق الحيات فاذن لا نستغرب ما كان لكتاب الزمرد من الاثر عندما ظهر فتعرض مؤلفه للتشنيع عليه وللاضطهاد وطلب اصحاب الشرطة له حتى انه حاول ان ينفي عن نفسه تأليفه فقد روى ابن الجوزي في تاريخ المنتظم ان ابن الراوندي وابا عيسى محمد بن هارون الوراق كانا يترامياني بكتاب الزمرد ويدعي كل واحد منهما على الآخر انه من تصنيفه !

نكتفي بسرد هذه القطع من كتاب ابن الراوندي التي اوردها داعي الدعاة والتي تطلعك على خاصية آرائه ، ونحن نغلق هذا الباب بسردنا عليك فصلاً صغيراً ختم به المؤيد الشيرازي رده على كتاب ابن الراوندي وهو مأخوذ من آخر المجلس الثاني والعشرين من المائة الخامسة من المجالس المؤيدية : « قد سقنا جواب الرسالة الموسومة بالزمردة — وهي خزفة مكسورة — حسبما فتح الله تعالى لنا فيه . ونحن نقول قولاً يشهد الله سبحانه على حقه وصدقه ان ابن الراوندي الذي عمل الرسالة مصيبته بعقله اعظم من مصيبته بدينه فانه تتبع الانبياء عليهم السلام الذين هم ملوك الديانات بالنقض ، ومعلوم أنه لو كانوا على ما يقوله الملحدون مبطلين في النبوة لكان فيه من المنفعة الظاهرة في سياسة الخلق وتحصين دمائهم واموالهم ومنع قويهم عن ضعيفهم ما يمنع عن تنقصهم وثلبهم . وتوكيل هذا الملحد عن البراهمة في هذا الباب بزعمه لا يوجب له منهم ثواباً في الدنيا ولا في الآخرة ، بل المحصول منه إحداد شفار القتل لنفسه لو كان حياً وألسن اللاعن والخزي اليها ميتاً فان الذي اتعبت خاطره وسره في شيء يكون نتيجته في الحياة الذل والقتل وفي الممات الخزي واللعن لخاسر الصفقة ظاهر الشقوة .

(قل هل أنبئكم بالأخسرين اعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) .

* * *

بقيت امامنا مسألة واحدة تدعو الى تأمل ما وهي لم نسب ابن الراوندي الآراء التي يعرضها في كتاب الزمرد للبراهمة ؟ وهل في تلك النسبة شيء مما يتفق وآراء تلك الطائفة الهندية ؟ ليس من الضروري ان نرجع لحل تلك المسألة الى ما يعرفه الباحثون اليوم عن احوال الهند وآراء طوائفها الدينية المختلفة ، بل يكفينا ان نقارن قول ابن الراوندي عنهم بما عرفه المسلمون ولا سيما المؤلفون القريبو العهد منه عن الهند وعن البراهمة .

من المعروف ان اول من حاول الكشف عن اسرار الحضارة الهندية والبحث الجدي عن ديانات اهلها ابوالريحان البيروني في كتابه « في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة » وقد نبه في مقدمة هذا الكتاب على ان من تقدمه من مؤلفي كتب الملل والنحل لم يعثروا على معرفة حقائق الهند عياناً وتجربة بل اكتفوا بالقيل والقال . وقد اشار المسعودي في مروج الذهب[1] الى ان اهم من عالج آراء الهند رجلان اولهما ابو القاسم البلخي الكعبي المتكلم المعروف في كتابه « عيون المسائل » والثاني ابو محمد الحسن ابن موسى النوبختي في كتابه « الآراء والديانات » وكلاهما عاش في اواخر القرن الثالث وبدء القرن الرابع مما جعلهما اقرب عهداً لابن الراوندي من البيروني . وقد اراد الحظ السعيد ان تصل الينا بعض منتخبات من كتاب النوبختي لا سيما فيما اورده ابن الجوزي في كتاب « تلبيس إبليس »[2] اذ يقول :

« وقد حكى ابو محمد النوبختي في كتاب الآراء والديانات ان قوماً من الهند البراهمة اثبتوا الخالق والرسل والجنة والنار وزعموا ان رسولهم ملك اتاهم في صورة البشر من غير كتاب ..... وانه امرهم بتعظيم النار ونهاهم عن القتل والذبائح الا ما كان للنار ونهاهم عن الكذب وشرب الخمر واباح لهم الزنا وامرهم ان يعبدوا البقر ومن ارتد منهم ثم رجع حلقوا رأسه ولحيته وحاجبيه واشفار عينيه ثم يذهب فيسجد للبقر في هذيانات يضيع الزمن بذكرها . »

---

(١) ج ١ ص ١٦٨ من طبعة اوربا

(٢) القاهرة ١٣٤٠ ص ٦٩

ووصف النوبختي في مكان آخر من كتابه حياة الزهاد من البراهمة الذين يتقربون باحراق اجسادهم والقاء انفسهم في النار » هذا وما اليه من العادات التي تظهر عليها الصبغة الهندية والتي سجلها للهنود كثير من مؤلفي اليونان والبيروني ايضاً عندما عاشرهم واذا قابلت هذه الاقوال عن شعائر الهنود الغريبة وآراءهم البعيدة عن عقولنا بما ينسبه ابن الراوندي اليهم من المذهب العقلي الصرف فلست اشك انك توافقني في انه لا علاقة بين براهمة ابن الراوندي والبراهمة الحق ، لا سيما اذ رأينا براهمة ابن الراوندي يجعلون العقل الحكَم الأعلى في كل ما في السموات والارض حتى انهم ينفون الرسل والانبياء بينما ينسب النوبختي ومن سلك مسلكه اليهم رسلهم وانبياءهم . ومعنى هذا ان ابن الراوندي اتخذ تسمية البراهمة قناعاً له للتعبير عن آرائه الجريئة التي ليست فيها من الهنديات شيء بل يمكن ويجب فهم نشأتها من البيئة الاسلامية ومن الازمات الروحية التي تعرض لها الاعتزال والكلام عامة .

وقد اشار الى هذه الواقعة المؤيد الشيرازي في رده على ابن الراوندي اذ لم يذكر البراهمة الا بأن يضيف الى ذكرهم ان تلك الآراء تنسب اليهم « بزعمه » اي بزعم ابن الراوندي فقط .

هذا والطريف في الامر ان كثيراً من اقطاب علم الكلام من المتأخرين ومن اصحاب كتب الملل والنحل قد انخدعوا بما اختلقه ابن الراوندي عليهم . فقد نرى الباقلاني[1] وابن حزم[2] والبغدادي[3] والغزالي[4] والطوسي والذهبي[5] ايضاً ينسبون الى البراهمة تلك الآراء التي رواها صاحب كتاب الزمرذ باسمهم والتي ليست من « التبرهم » في شيء . اما ابن الجوزي فقد وضع في جانب نخبته من كتاب النوبختي عن البراهمة الحق فصلاً مطولاً[6] في شبه البراهمة الموجهة ضد اهل الشرائع المنزلة يرجع في آخر الامر الى كتاب ابن الراوندي . اما الشهرستاني فقد عرض آراء هؤلاء البراهمة الموهومين عرضاً مفصلاً جديراً بأن نرويه هنا بتمامه اذ كان يمكّنك من مقابلته بما مرّ عليك من كتاب الزمرذ ومن الحكم من تلقاء نفسك على ما نقول .

قال الشهرستاني[1] بعد ان حاول تفسير اسم البراهمة بنسبته الى ابراهيم عليه السلام او الى رجل يقال له برهام : « قد مهّد لهم نفي النبوات اصلاً وقرر استحالة ذلك بوجوه منها ان قال :

(١) ان الذي يأتي به الرسول لم يخل من احد امرين : إما ان يكون معقولاً و إما ان لا يكون معقولاً . فإن كان معقولاً فقد كفانا العقل التام بإدراكه والوصول اليه،فأي حاجة لنا الى الرسول . وان لم يكن معقولاً فلا يكون مقبولاً إذ قبول ماليس معقولاً خروج عن حد الانسانية ودخول في حد البهيمية .

(٢) ومنها ان قال : قد دل العقل على ان الله تعالى حكيم ، والحكيم لا يتعبد الخلق الا بما يدل عليه عقولهم وقد دلّت الدلائل العقلية على ان للعالم صانعاً عالماً قادراً حكيماً وانه انعم على عباده نعماً توجب الشكر . فلننظر في آيات خلقه بعقولنا ونشكره بآلائه علينا . واذا عرفناه وشكرناه له استوجبنا ثوابه واذا انكرناه وكفرنا به استوجبنا عقابه . فما بالنا نتبع بشراً مثلنا ؟ فانه ان كان يأمرنا بما ذكرناه من المعرفة والشكر فقد استغنينا عنه بقولنا . وان كان يأمرنا بما يخالف ذلك كان قولنا دليلاً ظاهراً على كذبه .

(٣) ومنها ان قال : قد دل العقل على ان للعالم صانعاً حكيماً والحكيم لا يتعبد الخلق بما يقبح في عقولهم . وقد وردت اصحاب الشرائع بمستقبحات من حيث العقل من التوجه الى بيت مخصوص في العبادة والطواف حوله والسعي ورمي الجمار والاحرام والتلبية وتقبيل الحجر الاصم وكذلك ذبح الحيوان وتحريم ما يمكن ان يكون غذاء للانسان وتحليل ما ينقص من بنيته وغير ذلك ، كل هذه الامور مخالفة لقضايا العقول .

(٤) ومنها ان قال : ان اكبر الكبائر في الرسالة اتباع رجل هو مثلك في الصورة والنفس والعقل يأكل مما تأكل ويشرب مما تشرب حتى تكون بالنسبة اليه كجماد يتصرف فيك رفعاً ووضعاً

(١) كتاب اعجاز القرآن (القاهرة ١٣٤٩) ص ١٠

(٢) الفصل ج ص ٦٩

(٣) الفرق بين الفرق ص ٣٣٢

(٤) الفيصل ص ٥٥ (من مجموعة الجواهر الغوالي المطبوعة في مصر ١٣٤٣)

(٥) في تاريخ الاسلام في ترجمة ابي العلاء المعري

(٦) تلبيس ابليس ص ٦٩ الخ

(١) كتاب الملل والنحل (طبعة اوربا) ص ٤٤٥ الخ

او كعبد يتقدم اليك امراً ونهياً . فبأي تميز له عليك واية فضيلة اوجبت استخدامك وما الدليل على صحة دعواه . فان اغترتم بمجرد قوله فلا تميز لقول على قول ، وان انحسرتم بحجته ومعجزته فعندنا من خصائص الجواهر والاجسام ما لا يحصى كثرة ومن المخبرين عن مغيبات الامور من لا يساوي خبره . »

***

لعل القطعة التي اوردناها من كتاب الشهرستاني تكفيك دلالة على أن براهمة ابن الراوندي اشخاص موهومون على نمط الزوار الفرس الذين نقلهم « مونتسيكو » الى قلب اوربا لكي يضع على لسانهم ما يجول في خاطره من الافكار في عيوب الحضارة الغربية . وليست الرواية الوهمية التي اخترعها ابن الراوندي الوحيدة من نوعها في الآداب الاسلاميه ولكن لها نظائر واشباه . فان اكثر ما نقرؤه في الكتب عن عقائد الصابئة الحرانيين او الحرنانيين ليس الا خرافة اخترعها بعض الظرفاء من المتفلسفة في اواخر القرن الثالث للهجرة ليشبعوا جوع الجمهور المثقف الى آراء غريبة مستبعدة . وكذلك عمل ابن وحشية المشهور في فلاحته النبطية اذ اختلق للانباط والكنعانيين والكلدانيين والبابليين القدماء علوماً فاقت في عمقها كل ما اهتدى اليه علماء الامم الاخرى وكما ان الناس انخدعوا باختلاقات ابن وحشية واحمد بن الطيب السرخسي وابي بكر الرازي كذلك انخدعوا بالرواية الموهومة عن البراهمة التي اخترعها ابن الراوندي .

***

لنفترق بعد هذا عن ابن الراوندي . لن يقال ان شخصيته في إباحتها وجرأتها وتأذيتها لما هو مقدس محبية الى النفس ، ولكنها تمثل تياراً لا سبيل الى انكاره لمن يرمي الى فهم الحياة الاسلامية في القرن الثالث للهجرة على مختلف الوانها . ولعله يسلينا ان هذا الرجل مع اصراره على قدرة العقل الانساني في ادراك حقائق الاشياء قد وصل في آخر عمره الى ان قال — او قيل انه قال — :

اليس عجيباً بأن امرأً لطيف الخصام دقيق الكلم
يموت وما حصلت نفسه سوى علمه أنه ما علم

باول كراوس — القاهرة

الى القراء

●

— لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها من شهر كانون الثاني (يناير) .

— تدفع قيمة الاشتراك مقدماً .

— قيمة الاشتراك :

في سوريا ولبنان : ٩ ليرات لبنانية . ولا تقبل الاشتراكات لهذه السنة الا من الاماكن التي لا تباع فيها المجلة .

في الخارج :_

جنيه مصري واحد . ولصاحب الاشتراك في الخارج الحق في الحصول على منشورات الاديب التي تصدر خلال السنة .

— الادارة غير مسؤولة عن اعداد المشتركين التي تفقد في البريد .

— احتفظت الادارة ببعض اجزاء السنة الاولى (ما عدا الجزأين الاول والثاني) فمن شاء من هذه الاجزاء فليطلبها من الادارة وثمن الجزء ليرة واحدة

— الادارة مستعدة لشراء اي جزء من اجزاء السنة الثانية بـ ٥٠ غرشاً لبنانياً ، اذا كانت بحالة جيدة . وكذلك تدفع ليرتين لبنانيتين ثمن كل من الجزء الاول والثاني من السنة الاولى . والثاني والثالث من السنة الثانية .

— المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر .

— توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب — صندوق البريد رقم ٨٧٨ بيروت — لبنان

الادارة

الى القمر

●

يا ايها القمر المختال في الافق … رفيق كل شريد دائم القلق

سمير من صمتت عنه احبته … عزاء ليل جلا الإظلام بالرفق

حبيب كل كئيب لا حبيب له … نجيّ يوشع في الاهوال والفرق

إن كنت خلواً جماداً لا حياة به … ولا بلابل في الاغصان والورق

أو كنت لا كوثراً تجري منابعه … بين المضاب وبين الورد والحبق

فأنت طيف لصب شاعر دنفٍ … يهيم في الظلمة العمياء بالطرق

يزيده الشوق نيراناً فيطلقها … ملء الفضاء بوحي الوجد والأرق

كأنه بين احياء النجوم اذا … عم الهدوء وحانت ساعة الغسق

يقلب الطرف في ما حوله شغفاً … بكل روض ونجم فاتن الحدق

* * *

ترى شعاعك من نور الشموس همى … ام من شعاع عيون همن بالافق

ام انت بحر ضياء لا حدود له … تدفق النور من شطيه في الشفق

تجري الاماني فيه وهي سابحة … جري القوارب في امواجها الزرق

* * *

اخال واديك في الامساء اندية … تضم نخبة اهل الفن والعشق

فما رفعت اليك الطرف ناعسة … الا لمحتهم في كل مفترق

فمن بهائك ما في القلب من وهج … وفي تعاليك كانت آية السبق

ماري عجمي — دمشق

نيرون الحقيقي

بقلم نور الدين ارتام – نقلها الى العربية : يحيى شركس

طالما قد مضى أربع او خمس سنوات لم أر فيها صديقي الذي كنت تحسبه اذا نظرت اليه وهو في منتصف العقد الرابع من عمره وكأنه لما يزل في منتصف العقد الثالث من حياته بشرة نضره لا أثر فيها للتجعدات وشعر خرنوبي جميل لم يخط الشيب خطوطه فيه .

قلت كان قد مضى اربع او خمس سنوات لم أر فيها صديقي ؛ نعم هو كذلك ، فلقد عوّد الزمان الانسان ان يمر عليه شهور عدة لا يرى فيها جاره الذي يلاصقه في السكن ، وتمر عدة سنوات ايضاً لا يرى فيها ابن حيه الذي يعرفه . فلم تدهشني ملاقاة صديقي بعد هذه المدة الطويلة ، ولكن ادهشني ما رأيته في وجهه من تجعدات ذهبت بتلك النضارة التي كنت اعهدها فيه ، وخطوط بيضاء كثيفة تتزاحم في فوديه ، وفوق كل ذلك كان يحمل على عينيه اللتين كانتا حادتين فيما مضى نظارتين غليظتين فقلت له :

— أين أنت يا صاح وما هذه الشيخوخة ؟ . . .

فاقترب مني صديقي وحدّجني وقد تغير طوره قليلاً ثم بدأ يحدثني وكأنه يودعني سراً هائلاً فقال :

— اني اشتغل بالتاريخ . . . فلقد عثرت على كتب لم يطلع عليها احد ووثائق لم يقع عليها نظر انسان ، فوقفت على امور مدهشة واكتشافات فائقة لو قارنتها باكتشاف الدكتور « إسنر Eisner » الفيني الذي اجتمع بعد تنقيب ثلاثين عاماً على النسخة الاصلية لحياة عيسى المكتوبة بيد « جوزيفوس » اذن لظلت هذه بالنسبة لاكتشافاتي كأشعار الشاعر الفلوريني .

ادركت ان المقدمة ستطول فقطعتها عليه وقلت لصديقي العالم الكبير :

— هلا تحدثنا قليلاً عن اكتشافاتك هذه ؟ . . .

فأخذ صديقي طور العالم الجليل وقد استاء من قطع حديثه وتوجيه سؤال اليه في غير اوانه فبادرني بدوره :

— قل لي انت ما الذي تعرفه عن « نيرون » امبراطور روما الشهير ؟ ! . . .

لم اكن عالماً ، لا ولا فتحت كتاباً تاريخياً منذ تركت المدرسة واذا لزم البحث عن حياة رجل كهذا ، فكل ما يمكنني القيام به هو الالتجاء الى كتاب « اللاروس » المنتفخ على احدى رفوف المكتبة وقراءة ما جاء به ؛ فقلت :

— انا لا اعرف شيئاً عنه ، ولو اني حفظت شيئاً عنه فيما مضى فقد نسيته ؛ واذا اردت فسآتيكم « باللاروس » واقرأ عليكم ما جاء فيه .

فأسند صديقي العالم ظهره على الاريكة التي كان يجلس عليها وبعد ان اصلح وضع نظارتيه قال :

— اقرأ لنرى ! . . .

« نيرون — هو لوجيوس دومينوس نيرو كلاديوس ابن دوميتوس آهنباربوس وآغريبين . كان امبراطوراً لروما من سنة ٥٤ الى ٦٨ ؛ تدرب على يد الجندي « بورخوس » وعلمه الفيلسوف « سنيك » وتبناه الامبراطور « كلود » فصار من بعده امبراطوراً لروما ؛ وقد اظهر لباقة في بداية حكمه الى ان ظهر منافسه « بريتانيوس » فأمر بقتله وقتل امه ثم ألحق بهما زوجته وخليلته واخيراً بدأ يظهر على المسارح بأدوار الممثلين فأساء الى شرف الامبراطورية ومكانتها . ولم يثبت التاريخ احراقه لروما سنة ٦٤ ولكن بينما كانت روما تحترق رأوه يعزف على ربابته ويغني . قتل كثيراً من المسيحيين في « السيرك » طعمة للسباع ؛ وجعل بعضهم كمشاعل تحترق في حديقته بعد ان طلاهم بالزفت . طُرِدَ من روما اثر عصيان « فنديكس » و « غالبا » عليه وبينما هو على على وشك الوقوع في ايديهم أمر مولاه « آبا فروديت » بقتله فقتله . وقد قال صارخاً وهو يموت :

— ان الدنيا تخسر ممثلاً عظيماً . »

* * *

كان صديقي العالم يلهو مستهزئاً ويحدجني من فوق نظارتـه بينما كنت اقرأ عليه هذه الاسطر وبعد ان انتهيت من القراءة سألني :

– كلكم تصدقون بهذا أليس كذلك ؟

فلويت عنقي « وكأني اقول : وكيف لا نصدق ما جاء بمثل هذا الكتاب المعتبر لدى العالم اجمع ؟ » فأمرني صاحبي وقال :

– دعك وراء منضدتك فسأملي عليك الآن حقيقة نيرون وحياته . هذه الحقائق التي لم يكتشفها غيري ولا يعرفها احد سواي وانت اول من يطلع عليها :

* * *

ولد نيرون في بلدة لم يبق من آثارها ولا انقاضها شيء يدل عليها ، والسبب في ذلك هو ان اهل هذه البلدة كانوا لا يبنون بيوتهم من الاحجار لاعتقادهم باسطورة تعود الى اجيال قديمة جداً فكانوا يبنون بيوتهم من جذوع الاشجار واخشابها .

وانت كرجل من « استانبول » يمكنك ان تتنبأ بكل سهولة عن اهم الحوادث والوقائع اليومية التي تقع في بلدة كهذه بنيت جميع بيوتها من الخشب :

حريق !...

حريق في الصباح ، حريق في الظهر ، وحريق عند المساء ، وحريق في الليل ... فكانت البلدة تحترق من جهة فتبنى من جهة اخرى .

ولد نيرون بين هذه الحرائق وترعرع ثم شب فانفتل ساعداه وبينا هو جالس يوماً في داره تراءى له من بعيد دخان كثيف ولهيب مخيف يتصاعد من احدى الدور ، فهلع قلبه وثارت ثائرته على من حوله من مواطنيه الذين لم يبالوا بالخطب الذي يقع هنالك – لما اعتادوا عليه من رؤية امثال هذه الحرائق المتكررة ليلاً ونهاراً – فاندفع من بيته ينهب الارض متجهاً نحو الحريق وما زال به حتى اطفاه غير مبال بما كان يهدد حياته من الاخطار بين آونة واخرى وهو يقتحم اللهيب هنا وهنالك . وقد رسخ في نفسه ان ما قام به هو واجب انساني يجب ان يعتنقه كل مواطن في هذا البلد ويدأب عليه لمكافحة هذه الكارثة التي تدمر العائلة وتشرد اطفالها .

عاد الى داره مبتلاً ملطخاً بالاوحال يكاد وجهه لا يبين من الطين والهباب وقد اصابته حروق بالغه . وما ان رآه والداه على هذه الحالة حتى تطاولا عليه بالتأنيب والتقريع وقالا له :

– مالك وبيوت الناس !... وما عسانا نفعل بك وبحالتك هذه ؟ ...

اجابهما نيرون معتزاً وفي شيء غير قليل من القساوة والشدة :

– ان احتراق دار معناه انهيار صرح عائلة بأسرها ، وكيف تريدون ان يتحمل قلب انسان هذه الكارثه ؟ ! واني منذ اليوم سأقف نفسي لهذا العمل ولسوف لا تتجدد هذه الكارثة في هذا البلد ما دمت حياً وقادراً على العمل .

ولست بمطول حديثي عليك ، فلقد برّ نيرون بوعده الذي قطعه على نفسه ، فما ظهر بعد ذلك حريق في بلدته حتى بادر اليه واطفأه غير مبال بالمصائب والاخطار الى ان اخـذه الامبراطور « كلود » الى روما .

ولكن أتدري ماذا حدث ايضاً ؟ ! لقد كانت في البلدة فتاة كان نيرون يحبها حباً شديداً وكان يريد ان يتزوجها ويُسعَد معها ؛ الا ان ثلاثة من مواطنيه وشوا عنه زوراً الى حبيبتـه وما زالوا بها حتى صدته عنها ولم يقبل ابوها بعد ذلك بمصاهرته ايضاً أنبأوه بهذا الخبر الاسود وهو عائد من احـدى الحرائق بعد اخمادها ولكنه شعر تواً بحريق هائل شب في صدره ذاب له قلبه الكبير ذلك القلب الذي أوقفه للحب !... لحب حبيبته وحب الناس اجمعين .

الطرق المسكين من هول النبأ وفكر ملياً وهو ينفض عنـه الغبار والهباب !

أو لم ينتشل من اللهيب فيما مضى وفي تواريخ مختلفـه بيوت هؤلاء الثلاثة الذين دسوا عليه ؟ !!!

والبيت الذي ينفض عنه الآن غباره وهبـابه ، او ليس هو بيت ذلك الرجل الذي أبى ان يزوجه ابنته ؟؟؟

وفي ليلة حالكة بينما كان يمر في احد شوارع البلدة سمع لغطاً صادراً من بناء جديد تبين فيه اسمه ، فاقترب ليستمع . وياهول ما سمع !... لقد كانوا ينعتونه بأبشع النعوت ويقرعون عليه بأغلظ الكلام ، فنظر الى البناء الجديد وتذكر الاخطار الـتي تعرض اليها يوم اطفأ الدار القـديمة التي كانت قائمة بدلاً من هذا الدار ، فلقد كاد رأسه يتحطم وتذهب عيناه وساقاه طعمة للنار في ذلك النهار . فانصرف مكلوم النفس جريح الفؤاد ، وكان بامكانه ان يتمنى لهذا البناء الخشبي الجديد النار والدمار ولكنه لم يفعل

ان عمل الخير مهما كان قوياً ومتأصلا في الانسان فهو بمثـابة طـير محبوس في قفص النفس ، فاذا ما تحطم ذلك القفص يوماً من

حادثات الدهر ونوائبه ، فرّ ذلك الطير وذهب مع الريح .

وكان كلما تراءى لنيرون تلكم الحرائق العديدة التي اخمدها في مسقط رأسه رأى بجانبها ما لاقاه من اساءات الناس وعسفهم . ولم يكن يفكر وهو يلبي دعوة امبراطور روما بمحاسن المدينة التي ستحتضنه ، بل كان يمني النفس بالخلاص من بلدتـه التي قاسى الامرين من اهوالها والتي لم ير من أهلها غير نكران الجميل

ولا تظنوا ان نعيم القصر وملاذه أنسيـاه مرارة الاذى الذي لاقاه في بلدته فقد كان قلبه يخفق دوماً بحبه الاول ، وكلما تذكر اولئك الذين قضوا على سعادته واحـلامه ، تراءى له من خلفهم صواريخ من الدخان واللهيب تشق عنان السماء ، حتى بدأ هـذا المنظر بمرور الايام يتمركز في خياله واصبح لا يفارقه .

وقد اخـبروه يوماً وهو امبراطور ان عضواً من « السيناتو » هجاه وآذاه بالكلام فقال :

— لا أصدق ذلك ، فاني لا اذكر أني أطفأت له حريقاً شب في داره !...

ويشك كتابك هذا الذي قرأته عليّ ، حرقه لروما ، ولكن تلك حقيقة لا ريب فيها !... فتفكـيره المتواصل باساءات الناس اليه — وهو الذي نذر نفسه لخدمتهم — أضاع صوابه فأمر بحرق روما وعلى أن يبـدأ بالدار الذي يسكنه زوج حبيبته التي أحبها وادمت فؤاده في مسقط رأسه . والاغنيـة التي كان يغنيها نيرون امام ذلك المنظر الرهيب لم تكن في الحقيقة اغنية بل كانت مرثية من حشاشة نفسه ، مرثية فاضت من قلبه الذي اوقفه لخدمة الانسانية فلم تلاق غير العسف والاذى... مرثية كان يندب بها الزمان الذي أودى بالناس الى الحضيض بعد ان اقتلع من قـلوبهم كل فضيلة ومروءة .

ان نيرون رجل تلظى طول حياته في سعير ما اسداه من معروف واحسان للناس . فكانت روما اول وآخر سعير نفخ فيها بنفسه . وعلامَ هذا الشرود ؟!

أو ليس الذي أخمد آخر انفاسه وهو يصرخ « ان الدنيا تخسر ممثلاً عظيماً » هو خنجر معتوقه « آبافروديت » الذي أعتقـه واعاد اليه حريته ولو أن ذلك كان بأمر منه !...

وكتابك الضخم الذي قرأته عليّ ألا يقول ذلك ؟

ترجمة يحيى شركس — دمشق

الحياة الادبية في حلب

بقلم الدكتور محمد يحيى الهاشمي
استاذ في تجهيز حلب

ليس من السهل الكلام عن أشخاص معاصرين تضمنا واياهم مدينة واحده، نكاد نراهم في كل اسبوع، او في كل يوم، بل نجتمع مع بعضهم في ساعات العمل صباح مساء، فالصعوبة في ان نوفيهم حقهم دون اطناب ولا تقتير. ومهما حاول الانسان ان يتجرد عن آرائه وميوله، واهوائه وانجذاباته، فهو ليس بريئاً مما في طبيعة البشر من الكدورة. ويقول احد الحكماء: «استطيع ان ابر بوعدي على ان اكون صادقاً ولكن على ان لا اكون متحزباً فلا» لذلك فان عرضي للادباء المعاصرين لمدينة الشهباء في هذا المقال انما هو محاولة لا ادري الى أي حد سأكون موفقاً.

ان مدينة الشهباء هي من المدن العجيبة في الشرق، او هي تمثل الشرق الحاضر باجلى مظاهره. فيها القلعة التاريخية الجبارة التي تكاد تقسم المدينة الى شطرين، شطر قديم في زيه وعماراته واسواقه ومعابده وشطر يكاد يكون عصرياً في جميع مظاهر حياته. وقلما يعرف القسم الواحد من هذه المدينة عن القسم الآخر شيئاً. الا ان الشوارع الرئيسية العصرية يزدحم فيها الناس مساء غادين رائحين او يمضين قسماً عظيماً من اوقاتهم في المقاهي او الملاهي دون الاحتكاك بسكان الاحياء. وقل من ذهب ممن يسكن الاحياء الحديثة الى الاحياء القديمة الا لاشغال ضرورية. ورغم كل ما يدهشنا فهذه المدينة تعبر عن الشرق في اجلى مظاهره بل انها لتحوي مدينتين متناقضتين في كل اوضاعها لا تجمعها الا الجوار واللغة. فلا غرابة اذا رأينا في ادب هذه المدينة من التناقض شيئاً كثيراً. لان الادب ليس هو الا ابن البيئة التي نشأ فيها، ولا يمكننا ان نفهمه جيداً دون فهم المكان الذي نشأ فيه. ولا اغالي اذا قلت انه رغماً عن وجود هؤلاء الادباء في بقعة واحدة لم تجمعهم الا رقعة مقالتي

فيها تيار يدعو الى القديم ويتعصب له، وتيار رائده الحديث ولا يعترف للقديم بحق الوجود، بل يدعو الى التطور بكل ما اوتي من قوة أو كما يقول خليل الهنداوي:

«كل شيء في الكون يتطور، فلماذا لا نتطور؟
كل شيء يؤثر ويتأثر
الا نحن لا نتقدم ولا نتأخر (والاوفق لو قال بل نتأخر)
رأيت في الطبيعة الجدول الذي يكر
تثب الحياة على جانبيه
بل تصفق على شاطئيه
لانه يجري ولا يقف
لأنه يتطور فلماذا لا نتطور...»

وكل من يتعصب لتيار من التيارات يدلي اليك بحججه وبراهينه.

من بين تلك التيارات، تيار له مكانته في الوقت الحاضر وسيكون له في المستقبل على زعمي مكانة ممتازة هو التأليف بين القديم والحديث. واني اجرأ على القول صراحة ان في طليعة السائرين في هذه المدرسة هو سامي الكيالي في حلب رغم ما عرف عن هذا الاديب بأنه لا يناصر الا الحديث. سيما وان عنوان مجلة «الحديث» تقوي هذا الظن. ولكن منتجاته تبرز لنا شيئاً آخر فنرى اثراً من اثريه الواحد يرجع عهده الى عام ١٩٣٩ عنوانه (سيف الدولة وعصر الحمدانيين) يبكي فيه على المجد الضائع، فانك لو درست هذا الاثر لخلت انك تقرأ لاتباع المدرسة القديمة لما اراق في هذه الرسالة من دموع من اجل الفردوس الحمداني المفقود. اما الاثر الآخر فهو تعريب للكاتب التركي الشهير رفيق خالد، قد انتجه هذا العام عنوانه «المجنون» رواية تمثيلية موضوعها ما وقع من الاحداث في الامة التركية خلال عشرين سنة. فهنا نرى اديبنا يجاري الكاتب التركي في رأيه، ويخيل للناقد ان هنا تناقضاً في الآراء. كيف يحن الى ذلك المجد الضائع، ويرى فيه من علائم القوة ما يرى ثم ينتقل فيشغف بهذه الانقلابات الحديثة.

واذا قال الحاكم النزيه : « ناقل الكفر ليس بكافر » نجيب فنقول اذا لم تجد تلك الاحداث في نفسه ميلاً لما اختارها لترجمته . فكيف يمكن التوفيق بين هذين المتناقضين ؟ الامر اسهل مما نظن . وقد عبر هو عن ذلك في دراسته القيمة لحياة السهروردي (نشرت في الاديب في الجزء الحادي عشر من السنة الاولى) التي قال في مطلعها (الى الذين لا يتورعون ان يحكموا على كل مؤمن بالكفر، وكل مفكر بالالحاد اهدي هذه الصفحات » . فيكتب لنا عن شخصية بارزة استهواه فيها عدم الاهتمام للمظاهر العرضية ، بقدر اهتمامها بما هي مشغولة به من جواهر الامور وحقائقها العليا . ويعبر لنا الكيالي عن نفسيته احسن تعبير في نقده الجريء لكتاب حسين هيكل عن حياة ابي بكر الصديق (مجلة الحديث عدد ٣ ص ١٣٥) « ما الذي وجه الدكتور من دراسات في الافاق الغربية ، الى دراسات في الآفاق الاسلامية : من جان جاك روسو وبيير لوتي واناتول فرانس وشكسبير ، الى محمد وابي بكر وعمر ؟ لقد كان الدكتور هيكل بطلاً من ابطال التجديد ، يعيش في صميم العصر ويعالج مشاكل الحياة بنزعة المجدد الثائر ، ما به قد رجع الى الماضي يقف عليه ادبه وذكاءه ووعيه ... فلا زلت (يا هيكل) نصير الفكرة الحرة ، سواء كتبت عن القديم او عن الحاضر » . وفي زعمي ان هذه الروحية ، هي روحية الكيالي بعينها وهذه هي علة تجواله في العالم القديم منقباً عن آثار السلف ، وعلة دعوته الى التجدد . فلو لم تجد طريقة هيكل من نفسه ميلاً لما اقرها وذاب شوقاً اليها . فهو كما يقول عن هيكل (يبحث عن الفكرة الحرة من حيث هي) سواء كانت في طيات التاريخ القديم المنسي ، او في عصر التجدد الوثاب الى التقدم ، كما نرى ذلك في كتابه سيف الدولة ، وفي مقاله عن السهروردي ، وفي روايته المترجمة (المجنون) او في (شهر في اوربا) او في الكتاب الذي نشره حديثاً في مصر عن « الفكر العربي » . وقد تناول في هذا الكتاب الاخير ادق ناحية في تبيان الدور الخطير الذي لعبه العرب في تاريخ الحضارة . وليس الفكر العربي هو موضوع بحثه في هذا الكتاب بل تناول فيه عدة مباحث مختلفة ، كمعالجة آراء ابن خلدون في العرب والثقافة القديمة وطرق بعثها بما يلائم العصر الحاضر ، وموقف الشباب من النزعات الجديدة التي تطرقت اليها اثناء بحثه عن المثل الأعلى في الحضارة العربية الذي سينشر في كتاب قريباً . وجميع مباحثه ترمي الى هدف واحد ألا وهو تبيان الدور الخطير الذي لعبه العرب في الماضي وما يجب ان يعملوه ليمثلوا هذا الدور اليوم .

وقد نال هذا الكتاب استحساناً من الادباء المصريين اذ وجدوا فيه موضوعاً تموج به الحياة العقلية العربية من افكار بسطت بنهج قويم واسلوب أخاذ .

يصور لنا المدرسة النزاعة الى التطور خليل الهنداوي ، وهو وعمر يحيى الذي سيأتي الكلام عنه وان لم يكونا حلبيين في الاصل ولكن اعتادت هذه المدينة ان لا تفرق بين غريب وقريب طالما انتمى الى القومية الكبرى او آمن بالانسانية العظمى . وقد سبق وذكرت الهنداوي بدعوته الى التطور ، وهو كاتب موهوب قرأت بامعان من آثاره المنشورة صفحة من حياة باريس ، تيقنت فيها انه لو اتيح لهذا الاديب ان يدرس في الغرب لاتانا بما يذهش . وهو يقدر الآثار الشعرية اليونانية ، ويود لو ان العرب في نهضتهم الاولى تذوقوا ما كان عند اليونان من فن . وهو يعتقد ان هذا العمل كان خيراً لهم من ترجمة الفلسفة نفسها وقد طلب من الكتّاب ان يعالجوا هذه القضية فلم يجبه على طلبه غير محمود اللبابيدي في مقال له في « الاديب » عدد ايار من هذه السنة عنوانه : العرب بين الفلسفة اليونانية والادب اليوناني . وقد سبق لي ذكر شيء عن ذلك في الحديث (عدد ١ من هذه السنة ص ١٢) . وينشر اديبنا الهنداوي بين آونة واخرى قطعاً تمثيلية على غرار القطع اليونانية القديمة . وهو معجب بنيتشه ومتأثر به الى حد بعيد .

توفق الدكتور شكيب الجابري بروايته التي الفها « نهم » في وصف حياة الغرب لانه عاش فيها عن كثب . ولكنه عاد في روايته الثانية « قدر يلهو » بالحنين الى الشرق وهو في ارض الغرب فصور لنا صنفاً خاصاً من الشباب الذين ذهبوا الى اوربا فعاشوا بها ردحاً طويلاً واكتسبوا منها ولكنهم اضاعوا كثيراً من شرقيتهم فاصبحوا مذبذبين لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء . وقد اطلق على هذا النموذج اسم « طريد المدنيتين » : « لا المظاهر الغربية ترضيني الرضا كله فتنفتح لها نفسي ، ولا مظاهر قومي تقر عيني فاجد فيها هنائي ! طريد المدنيتين ، وغريب البلدين . اردت ان اسد نقص مدنية موروثة ، بمزايا مدنية مكتسبة ، فاذا انا اضيع المدنيتين ، واضيع بين ذلك نفسي وبهجة العيش في عيني » ولقد قالت عنه مجلة المقتطف منذ اصدر الرواية الاولى انه يبشر بميلاد قصصي في الشرق العربي . وكان العالم العربي متشوقاً لما سيقدمه له من آثار ادبية رائعة ، فاذا هو ساكت ، ولا يعلم احد هل هذا السكوت لانه نحا ناحية اخرى ام لانه سيعد لنا في هذا السكوت اثراً قيماً . اما سبب تبوئه هذه المكانة الادبية في هذه السرعة لان جذره

عميق في العلوم الطبيعية ومن كان كذلك فسهل عليه الابداع في الادب والفلسفة .

ومن الادباء المشهورين الشيخ راغب الطباخ عضو المجمع العلمي العربي في دمشق وصاحب كتاب اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء الذي جمع فيه من اخبار هذه المدينة الشيء الكثير . ولكن نزعته نزعة علمية اكثر منها ادبية . وقد نشر عدة رسائل من مخطوطات قديمة دققها لغوياً ، منها مصطلح الحديث لابن الصلاح الذي ذكره اسد رستم في كتابه مصطلح التاريخ (بيروت ١٩٣٩ ص ١٠٦).

ويمتاز خير الدين الاسدي في ابحاثه اللغوية عن اشتقاق بعض كلمات مثل (ليس) ، (حلب) ، (الالف) ، (السماء) وما شاكلها . وهو يقارن بين اللغات السامية مستعيناً بنتجات المستشرقين الغربيين . اما آثاره الادبية فلا اعرف له غير ترجمة رجعة ابي العلاء لاديب ارمني غير معروف في الشرق العربي .

ان كان للادب هذه المكانة الممتازة في مدينة سيف الدولة ، فإن للشعر فيها قدحاً معلى ، ويمثل الشعر فيها العمران ، عمر ابوريشة وعمر يحيي . فالاول نزّاع الى تمجيد البطولة في اطوارها المختلفة وقد اظهر قابلية تمثيلية في رواية ذي قار وفي الرواية التي استهل فيها ديوانه .

اما الميزة التي يمتاز بها ابو ريشة ويكاد لا يوازيه فيها شاعر عصري ، هي تمجيد البطولة ، وانك لترى هذا التمجيد ، حتى في وصف الطبيعة وفي ابراز لواعج النفس . فإن وصف لك الالم والعذاب والحب والغرام ، او الفن والجمال ، فلا يدعك تستسلم استسلام من لا يملك حولاً ولا قوة ، بل في وسط تلك الزوابع والاعاصير ، يدعك ترفع رأسك شامخاً الى السماء . ومن الغريب ان الصحراء تستهويه ، فيجيد وصفها مع انه لم يقطع مفاوزها :

« اوقفي الركب يا رمال البيد   انه تاه في مداك البعيد
عصفت في جفونهم ريحك الهو   جاء والشمس عربدت في الخدود
والصبايا من الهوادج ينظر   ن الى الافق نظرة المفؤود
ليس يبصرن منك غير هضاب   في هضاب مبعثرات الحدود
غابت الشمس يارمال وهذا ال   ركب في قبضة العياء الشديد »

واذا اردت ان تعرف ماذا يقصده هذا الشاعر الموهوب فاسمع صوته الحي وهو يمثل لك بجرأة نادرة ، وعزة عربية قل مثيلها ، ماذا يختلج في اعماق نفسه . عند ذلك يضرم في قلبك نار الحماس ويجعلك شعلة متقدة ، فتدرك بذلك مراميه ، وماذا يقصد من هذا البعث القومي الحر :

يغلب على شعر عمر يحيي نزعة الحزن العميق . ولم اهتد رغم دراستي لديوانه البراعم الى منبع هذا الحزن . ولقد حلله الشاعر العبقري احمد الصافي النجفي بقوله : « ولعل السبب في توفق عمر يحيي ووصوله الى الطريق الامثل في الشعر يرجع الى حظه الوافر من التثقف بالادب العربي القديم . فوق ما يمتاز به من الهيكل الشعري الذي بنته الطبيعة في جسمه النحيف الحساس والشاعرية الفطرية التي حبته بها رياض العاصي وجداوله ومناظره الخلابة ، ونواعيره النائحة بألحانها الشجية واناتها الخالدة ». وهو سواء وصف لك الشاعر ، ام قلعة حماة ، ام العاصي ، ام التأسي ، ام ذكرى الاستقلال ، ام احلام الماضي، ام غيرها ، فكلها ذات مسحة شجية وكلها بكاء وندب ، يفتت لهولها الاكباد :

« ان عيل صبرك يا فؤا   د فأنت مرتكب الجنايه
نبغي هناء العيش والد   هر الظلوم له رمايه »

حتى لا ينسى ما به من تشاؤم في نظره في الطبيعة :

« لي في الطبيعة نظرة   نظر الغريب الى الوطن
فيها الجمال بديعه   فيها الطلاقة واللسن
تروي العليل معذب   اضنته آلام المدن »

ويظهر ذلك جلياً من (بوادر الصبوة) :

« يا رب هذي عيوني   لم تنس بعد بكاها
والنفس اخشى عليها   من ان يعود شقاها
ما حبلي في حياة   ما ذقت الا اساها
اصانع القلب جهدي   ولا تكف اذاها
سكبت ماء شبابي   على سراب رؤاها »

ولا ابالغ اذا قلت بأني لم اطلع على قصائد من قصائده ، سواء نشرت في ديوانه ، او في بعض الصحف ، او القاها بنفسه ولم يكن فيها حزيناً باكياً .

اما القاوه فهو ايضاً ممتاز رغم هدوئه وصوته الضعيف . نعم انه لا يستفز الحماس ، ولكنه يوقظ الحزن العميق بنبراته الخافتة وهو والحالة هذه يمكننا ان نسميه ، شاعر الحزن الذي تفرد فيه في هذه المدينة ولا ينافسه فيه احد لذلك جاءت قصائده ، صادقة في الندب ، قد بكى فيها واستبكى . اما الذي استغربه منه ، أني لم اجد في شعره شيئاً عن حلب ، تلك المدينة التي مكث بها طويلاً ولا يزال مقيماً فيها والتي برت به وفتح له ادباؤها قلوبهم بل عدوه واحداً منهم ، فهو رغماً عن كل ذلك يجد نفسه غريباً . فلقد قال في تأبين الشيخ امين الكيلاني (الجامعة الاسلامية عدد ١١١ ، ١٢٠ من هذه السنة عدد خاص ص ٣٦) :

عودة

... وكان أن عادلي حبيبي — يجود بالصفح عن ذنوبي
مجنّح الهف بالاماني — كموعد المرتجى القريبُ
يذرّ في هشه شروقاً — فيهزأ الكون بالغروب
نعماء أحدوثة روتها — دغدغة الوصل للحبيب
قد عاد ، فالقبلة استفاقت — تبرعم الحب في القلوب
وتفرش المرتمى ورودا — فيغرق الجو بالطيوب
هناك : « لا تأمل انتهاء » — يوشوش الصبح للمغيب

يوسف الخال

يا غريباً ابقى اخاه غريباً يعلم الله مدى آلامه

وفي هذه المدينة ادباء اخر امثال شارل خوري ، يوركي حلاق ، ابناء ابي قوس وغيرهم ، وقد قرأت لهم او لمعظمهم ينشدون بعض قطع ادبية لا تكفي في تكوين رأي في حقهم

ويعد سامي الدهان اثراً قيماً عن أبي فراس الحمداني نهج فيه طريقة المستشرقين الغربيين سنقول فيه كلمتنا عند انجاز العمل .

وقد اظهر الشيخ طاهر النعسان (عضو المجمع العلمي العربي) قابلية ادبية فائقة على المنهج القديم تجلت لي في خطابات القاها في دار الاراقم .

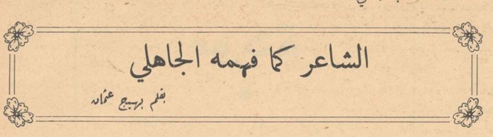
وقبل ان نختم المقال ينبغي ان لا نجحف حقوق بعض براعم تفتقت في عالم الادب من جديد مهما كان نتاجها ضئيلا . ومن هذه البراعم تلميذ فتى ما زال على مقاعد الدرس يدعى علي الزيبق ، اقر بقابليته الشعرية ، شاعر العراق الفذ معروف الرصافي الذي قال له في كتاب ارسله له :

« سرني حبكم للادب واقبالكم عليه واستعدادكم له ، وقرأت ما في الكتاب من شعركم الذي لم يزل مثلكم في ريعان شبابه . وهو وان كان من جهة اللفظ لم يزل في اول نشأته الا انه بمانيه الرائعة يبشر بمستقبل لكم باهر في عالم الادب » . ولقد اطلعت بنفسي على ديوانه فوجدت فيه الحماسة والغزل ولم اجد فيه الوصف والتمثيل ولكن هذا النقص لم يقع فيه شاعرنا الفتى فحسب بل اكثر ادبائنا . واقد نصحته بلزوم اقتفاء اثر الطبيعة ومحاولة فهم لغتها والاصغاء الى مكنونات النفس ومعرفة المواقف البشرية بمناسباتها مع بعضها بعضاً . خلافاً لما حثه عليه الرصافي من حفظ الشعر والاعتناء بالالفاظ ، لان هذا العمل ثانوي في نظري . فالالفاظ هي العرض لا الجوهر كما يقول الصافي :

« اهوى المعاني عن ثياب اللفظ تظهر نائيه
اهوى اللباب بلا قشور للنواظر باديه »

هكذا آمل ان اكون امطت اللثام عن ادب هذه المدينة ، وبينت تياراته المختلفة ، وحبذا لو ان كل مدينة من مدن الشرق العربي اخذت على عاتقها كشف الحجاب عن ادبائها . عند ذلك نطمع بأخذ صورة قريبة من الواقع لادبنا المعاصر .

محمد يحيى الهاشمي — حلب



الشاعر كما فهمه الجاهلي

بقلم بهيج عثمان

وهل يفهم الجاهلي معنى للشاعر غير المعنى الذي يفهمه الاسلامي او الاموي او العباسي ؟ لا بد لنا ، لنجيب على هذا السؤال ، من ان نعرض الى مادة «شعر» ونرافق تطورها اللغوي ، الذي يظهر تدرجه من تتبع الاستعمالات المختلفة لهذه الكلمة واشتقاقاتها في العصور المتفاوتة . فاذا رجعنا الى القرآن الكريم نفسه نبحث فيه عن استعمالات مادة شعر ، وجدنا هذه الآيات في سورة الشعراء : « والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون» ومن الطبيعي ، للشعر بالجو الذي قيلت فيه هذه الآيات ، ان نعود قليلاً الى الآيات السابقة : هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم » .

لن نحاول تفسير الآيات ، ولن نحاول عرض الآراء المختلفة التي أثيرت حولها ، ولكننا سندون ملاحظة تبدو بارزة ظاهرة لاول وهلة ، هي ان هذه الآيات قرنت الحديث عن الشعر ، بالحديث عن الشياطين .

وفي سورة يس « وما علمناه الشعر وما ينبغي له ، ان هو الا ذكر وقرآن مبين » وقد رأى المفسرون ان معنى الشعر هنا ، هو الابيات المنظومة والقصائد الموزونة ، واذا كان هذا صحيحاً ، فيجب ان يكون القرآن غير هذه القصائد ، واذن فهو نثر ، او هو قرآن ، كما ذكر في هذه الآية .

وتكلم الناس اكثر من مرة عن اسلوب القرآن : أنثر هو أم شعر ؟ أم هو شيء بينهما ؟ ولكنهم ما داموا يفهمون من الشعر هنا ، أنه القصائد المنظومة فلن يصلوا الى نتيجة حاسمة .

لنعد ، كما عدنا في الآية السابقة الى الآيات التي تقدمت هذه الآية ، فسنقرأ «ألم أعهد اليكم يا بني آدم الا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين » ثم يليها بعض الآيات المعترضة ، حتى تجيء آية « وما علمناه الشعر » .

واذن فنحن نلاحظ هنا مرة ثانية ، جمعاً بين الشعر والشيطان .

وكما دلت هاتان الآيتان على علاقة ، قريبة او بعيدة ، بين الشياطين والشعراء ، فان ثمت آيات تجمع بين الشعر وبين الجن «وقالوا آئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون » والمجنون من به جنة . وفي آية اخرى : بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر» .

واذا سرنا على هذا النمط في استقصاء مادة شعر في القرآن الكريم لانتهينا الى ملاحظة هذه العلاقة الواضحة ، والدائمة ، بين الشاعر والشياطين مرة ، وبينه وبين الجن مرة ثانية ، وبينه وبين الاحلام مرة ثالثة ، فهل كانت هذه العلاقات صدفة ام كانت مقصودة ؟

ومن الغريب ايضاً ، ان تحذف كلمة « شاعر » احياناً فيوضع مكانها « معلم مجنون » او ساحر ، او مسحور ... وكلها تنبي عن صلة بين الشاعر وبين تلك العوالم الخفية ، وان الجاهليين عندما وجهوا الى الرسول صفة الشاعرية واتهموه بها ، لم يكونوا يطلقونها على انها تعني نظم الابيات الموزونة ، بل على انها تعني : ان هذا الذي يقول ، ليس من عنده ، وانما هو صادر من عالم آخر خفي ، وانما هو مُعان عليه من قبل قوم آخرين .

ويؤيد ذلك ما تحداهم به القرآن الكريم عندما قال : قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » . ما دخل الجن الجن في هذه المناقشة وما شأنهم بموضوع التحدي ؟ الجواب على ذلك سهل يسير ، عندما نعلم انهم اتهموه بالشاعرية ، والشاعرية التي يفهمونها ، لا التي نفهمها نحن ، فهم يرمونه بذلك الاتصال بين العالمين ، ثم امداد العالم الآخر للشاعر فكان القرآن يتحداهم بان يتصلوا هم بذلك العالم الخفي ، ما داموا يدعون ان الجن تساعده كما تساعد الشعراء .

وكأني بالرسول الكريم في قوله لحسان : اللهم ايده بروح القدس » يريد ان يوافق جمهور الناس في اعتقادهم بان الشاعر يستمد

اقواله من قوة خفية تلهمه . غير انه رفع هذه القوة الخفية من عالم وضيع ، الذي هو عالم الشياطين والجن ، الى عالم رفيع هو عالم الملائكة .

وهذه القوة الخفيـة التي تجري على لسان الشاعر انواعاً من الكلام ، هي التي تسمى اليوم بالالهام او الوحي او العبقرية ، ولعله من الغريب ان تكون كلمة عبقرية نسبة الى عبقر ، وعبقر ، كما جاء في لسان العرب موضع بالبادية كثير الجن .

كل هذه النصوص القرآنية تنتهي بنا الى ان الشاعر ، كمـا فهمه الجاهلي هو المؤيد من قوة خفية توحي اليه ، وانه من اجل ذلك كان صادقاً فيما يقول ، عالماً بما يتنبأ ، واذا عرفنا ذلك سهل علينا فهم العقلية الجاهلية وموقفها من الشاعر ، على وجه صحيح وادركنا لماذا تخاف القبيلة الجاهلية وترتعد من بيت شعر تهجى به فيـلازمها العار اينما ذهبت ، ولماذا تفتخر القبيلة الاخرى وترتفع منزلتها من بيت آخر تمدح به . ثم نستطيع ان ندرك منشأ ذلك التأثير العميق البعيد ، والسلطة الخارقة القوية ، التي يوصف بها الشاعر ، فيمدح قبيلة في المعركة ويبشرها بالنصر ، وما اسرع ما تنتصر على اعدائها ويهجو الاخرى وما اسرع ما تنهزم وتضعف معنوياتها .

ولا معنى بعد ذلك ، لقول من يقول : ان العرب امـة الشعر وان الشعر عندهم سليقة وطبع ، وانهم كلهم شعراء ، لانه لو صح انهم كذلك ، فليس من المعقول ان يمـلك الشاعر تلك المكانة الرفيعة التي نسمع عنها بأنه سيد القبيـلة او لسانها ، وليس من المعقول ان تهنيء القبائل بعضها بعضاً بفرس تنتج او شاعر ينبـغ . فهذه المكانة الرفيعة السامية لم يحملها الشاعر الا من ندرة الشعراء وقلتهم . ولا ينكر ان العرب كانوا يعتقـدون ان الشعر سليقة وطبع ، ولكن ما معنى ذلك ؟ معناه انـه ليس من عمل الانسان واكتسابه . بل هو من قبل قوة اخرى يفطر عليها فهو . وهبة من المواهب .

* * *

واغلب الظن ان « شَعَرَ » في معجم الجاهلية كان معناهـا « علم الغيب » وابراز هـذا العلم في قالب من القول . وليس من الضروري ان يكون هذا القول قصائد منظومة ، بل قد يكون مجموعة من الحكم ، اذ ليس الفارق بين الشعر وغـير الشعر الوزن والقافية ، وانما الفارق بينهما هو صدوره من عالم خفي او عدم صدوره عنه ، مهما كان هذا العالم الخفي على شرط ان تحيط به هـذه الهالة السحرية الخفية او ذلك الاطار الديني الغيبي .

ثم تطور هـذا المعنى قبيل الاسلام ، او في القرن السادس الميلادي ولسنا نستطيع ان نحدد خطاً واضحاً لهـذا الانتقال او التطور ، وانما نعرف ان هذه الكلمة بعد ان كانت تعني علم الغيب واظهار هذا العلم في قالب قولي ، أصبحت تعني « العـلم » فقط من ناحية ، وذلك القالب القولي من ناحية اخرى .

ولا تزال النصوص تدل على ان شعر تعني علم ، وهذه النصوص كثيرة شائعة في القرآن والشعر : من حيث لا تشعرون ، ولا يشعرون آيان يبعثون ، ليت شعري . . . الخ . ولا تزال المعاجم تثبت هـذا المعنى في تفسير « شَعَرَ » .

ولعل الاشتقاق اللغوي لكلمات اخرى قريبة من الشعر يقوي ما نذهب اليه ويسنده ، فلفظ « شعرى » يـدل على نجم كانت خزاعة تعبـده ، وكان موضوعاً لكهانة بعض الكهان . وكلمة أنشد التي تضاف « للشعر » ما هي الا العلاقة بين العبـد وربه ، فتقول ناشدتك الله وأنشدك الله . والصلة في كلتا المادتين واضحة القوة ، مع الناحية الدينية .

ومن ناحية اخرى ، لا تعرف العربية شَعَرَ بمعنى قال شعراً .

* * *

احاطت بالشعر ، كما قلت ، هالة من الغموض والخفاء والابهام والسحر ، ولعل ما يؤيد هـذا ان القرآن استعمل كلمة « مبين » مقابلة لكلمة « الشعر » ثم وصف القرآن بالبيان في اكثر من موضع فقال «وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين» . ولعل وضع العرب لفظ « البيان » التي دلت على نوع من الكلام ، والتي تدل على الظهور والوضوح ، هو وضع مقابل للفظ « الشعر » الذي يحيطه الغموض ، والذي ينبع من عالم خفي مبهم .

بل أسير الى ابعد من ذلك ، فأزعم ان حديث الرسول (ص) ان من البيـان لسحراً وان من الشعر لحكمة » قد وضعت فيه لفظة البيان مقابـلة للفظة « الشعر » ثم وضعت لفظة « السحر » مقابلة لكلمة « الحكمة » . فكأنه قال : قد يكون من البيان سحر ، وقد يكون من الشعر حكمة ، مع ان الامر على العكس لان السحر من اختصاص الشعر والحكمة من اختصاص البيان .

* * *

ومن اجل هذا المعنى الذي حمله الشاعر ، دار في كتب الادب والتاريخ كلام طويل حول صدق الشعراء او كذبهم ، فـلو كان الشاعر هو الذي ينظم الكلام في وزن مـعين وحسب فليس من الضروري ان تحوم حوله تـلك التهمة حيناً فيقال له : كاذب ا و

يوصف بمدح فيقال له : صادق ، وقد قال طرفة :

وإن احسن بيت انت قائله   بيت يقال اذا انشدته : صَدَقا

جاء في القرآن الكريم : وانهم – اي الشعراء – يقولون ما لا يفعلون . وقالوا عن المهلهل : انه احد الكذبة . وقال عمر بن الخطاب عن شعر العرب : كان الشعر علم قوم لم يكن لهم اصح منه . وبدهي ان لا يكون هذا العلم الصحيح بيتاً من الشعر يهتز له ، ويطرب منه وكفى .

* * *

بعد هـذا الطواف السريع ، من اشتقاق لغوي ، الى استنتاج من آي القرآن ، الى حديث نبوي ، وبعد هذه النتيجة التي وصلنا اليها في فهم معنى الشاعر الجاهـلي : هل نستطيع ان نستدل على هذه النتيجة من تاريخ الجاهليين :

يتخلل التاريخ الجاهلي كثير من الروايات والاساطـير التى تدور حول الشعراء ، وهذه في موضوعنا خير من الاعتماد على الشعر نفسه . ذلك لان هذه الاساطير ، سواء وقعت حقاً في الجاهليـة او حيكت بعد ذلك في الاسلام ، فان ذلك يدل ، وفي الحالين ، على هذا المعنى الذي يتصف به الشاعر ، ويصور نظر الجاهليين ، او من بعدهم الى الشاعر .

وعلى كل حال نستطيع ان نطمئن على ان الشعراء الذين يسمون بالمتحنفين والذين كانوا يتصفون بهذه الصبغة الدينية ، شعراء ينطبق عليهم هذا الوصف الذي وصلنا اليه فهم كما يبدو لعامة الجاهليين، طبقة ارقي منهم يعلمون الغيب، ويتكلمون عن المستقبل ويتصفون على كل حال بالصفة الدينية .

وثمت فريق آخر من الشعراء الذين رددت الروايات اكثر من مرة انهم كانوا يتصلون بالشياطين ، وانه كان لكل واحد منهم شيطان . وقد استطاعت هذه الروايات انتسمي اسماء بعض هؤلاء الشياطين .

ففي جمهرة اشعار العرب ان صاحب عبيـد بن الابرص – او من يوحي اليه الشعر من الجن – يسمى هبيداً ، وهو الذي لقن عبيد بن الابرص قصيدة :

طاف الخيال علينا ليلة الوادي   من آل سلمى ولم يلـم بميعاد

وروى صاحب الجمهرة ايضاً ان للاعشى شيطاناً اسمه مسحل وان لأمريء القيس شيطاناً آخر اسمه لافظ وان للنابغة صاحباً اسمه هاذر ....

هذان الفريقان ، الاول بنزوعه السامي واتصافه بهـذا الجو الديني الرهيب . والآخر باتصالاته مع الشـياطين . يؤيدان ما ذهبنا اليه كل التأييد .

ثم هناك طائفـة اخرى من الشعراء ذُكر لنا عنها ألوان من الاحلام والرؤى ، فما قيل ان زهيراً نام ذات ليلة ، فأتاه آت ثم رأى حبلًا قد نزل من السماء ، وتعلق به من تعلق من الناس ... الخ . وليس المهم تلك الاسطورة ، وانما يعنينا محاولة زهير بعـد ذلك تفسيرها ، فيقول لابنائـه : ان شخصاً سيجيء ، فاذا ما خرج فتعلقوا به واتبعوه

ومن الطريف ان زهـيراً لم يخطيء في تفسير رؤياه ، كما لم يخطيء غيره من الشعراء في تفسير احلامهم كما اننا لا نجـد امثال هذه الروايات منسوبة لغير الشعراء .

وليس زهير وحده في ذلك ، بل ها هو الاعشى ، الذي لم يزل شاباً ، والذي لم يقل شعراً بعد وهو لا يدري ماذا يفعل ، فقد هجاه بعض الشعراء ولا يستطيع له جواباً ولا رداً ، فينام ، واذا وصلت في الرواية الى انه نام ، فاعلم ان النوم مقدمة لمجـيء ذلك الآتي .... وجاء آت فألقى فيه كبـة من شعر ، فقام ، وهو شاعر ، وهجا ذلك الرجل .

واذا كان هذا هو بدء قول الشعر عند الاعشى فان لبيداً بدأ قول الشعر بشيء مثل هذا ، فقـد كان لبيد صبياً يرعى إبل قومه ووقع نفور بين النعمان وبين قبيلتـه ، كان سببه الربيع بن زياد واضطربت قبيلته لهذا الامر ، فليس عندهم شاعر يدافـع عنهم ، وعرف لبيد بالامر فقال لهم : هل تقدرون ان تجمعوا بيني وبينه (اى وبين النعمان) فازجره عنكم بقول مخيص مؤلم لا يلتفت اليه النعمان بعد ذلك ابداً . قالوا : وهل عندك شيء ؟ قال : نعم . قالوا : فانا نبلوك بشتم هذه البقلة ، وكان امامهم بقلة دقيقة يابسة فهجاها وقال : هذه التربة التي لا تذكي ناراً ، ولا توهل داراً ، ولا تسر جارا ، عودها ضئيل ، وفرعها كليل ، وخيرها قليل ..الخ (ولنلاحظ ان هجاءه لم يكن كلاماً منظوماً) . فلما انتهى قالوا : نصبح ونرى فيك رأينا ، وقال لهم واحد منهم :

انظروا الى غلامكم هذا ، يعني لبيداً ، فان رأيتموه نائماً فليس من امره شيء ، انما هويتكلم بما جاء على لسانه ، وان رأيتموه ساهراً فهو صاحبه ، فرمقوه فوجدوه ، وقد ركب رحـلًا ، وهو يكدم وسطه حتى اصبح ، فقالوا : انت صاحبه . وكان ، طبعاً ،

سبب انتصار قومه على اعدائهم .

واذا كان اعتقاد الجاهليين ان هذا العمل الذي قام به لبيد ، هو عمل خاص ، يجلب فيـه الشعر ، فان كل ما يصدر عن الشاعر كان عن هذه الطريق . فاذا ما قال زهـير كلاماً في ايقاف الحرب المستعرة ، وبيّن اضرارها ، فـذلك لانه ينطق عن مصدر صادق واذا تنبأ بنتائج وخيمة فلا شك انـه يتكلم عن صدق وروية . ولكن ما باله يقول :

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عمِ

اما انا ، فاني ارى في هذا البيت ، اذا صح انه جاهلي ، وان قائله هو زهير ، انـه يوجهه الى هؤلاء الناس الذين لا يزالون يعتقدون بعلم الشاعر ، وتنبئـه عن الحوادث المستقبلة فان دلّ البيت على انه كان عاقلاً ، وان نفى عنه تلك الصفة فهو يدل كذلك على ان ثمت فريقاً يعتقد في الشاعر هذا الرأي ، والا فليس من الضروري ان يُثبت هذا الامر التافه الذي يعرفه كل الناس .

وهذا لاعتقاد الساذج الذي رافق عقلية الجاهليين هو الذي دعا المحلق ان يبيع ما عنده ليقدمه الى الاعشى ، ليقول في بناتـه الثماني اللاتي « شريدتهن قليلة » شيئاً يساعدهم على الزواج ، وقـد فات اوان زواجهن . وما كان من الاعشى الا ان قال أبياتاً ثلاثـة في سوق عـكاظ ، وما قـام المحلق من مقعـده في عـكاظ ، وفيهن مخطوبة الا وقد زوجها .

ولكن قد يقال بأن زهيراً عرف بأنه حكيم صادق في حياته اليومية العادية ، وقد يقال عن الاعشى انه اتصل بالعبّاديين نصارى الحيرة ، وانه كان يأتيهم ويشتري منهم الخمر فلقنوه مالقنوه ، فاذا كان هؤلاء كذلك ، فماذا نرى في غيرهم ؟ وماذا سنصادف عنـد المتلمس الذي لم يكن يوماً متديناً ، وعند طرفـة الشاعر الثائر المتشرد ؟ . . .

اما المتلمس ، فقد روي عنه انه تنبأ اكثر من مرة ، فقد قال مرة لطرفة : اخرج لسانك . فاخرجه فقال : ويل لهذا من هذا . وتأبى الرواية الا ان تتم فصولاً كاملة ، ويأبى القـدر الا ان يموت طرفة ، وان يموت من وراء لسانه وبسببه .

وكذلك نعرف عن طرفة انه اضاع إبله مرة ، فقال له اخوه معبد : لمَ لا تستريح في إبلك ، ترى انها ان اخذت تردها بشعرك هذا ، قال : فاني لا اخرج فيها ابداً حتى تعلم ان شعري سيردها ان اخذت . فتركها واخذت . وتأبى الايام الا ان يقول طرفة معلقته المشهورة ، وان يردها بتلك الاموال التي نالها من ممدوحيه . وعلى هذا النحو اذا استقصينا احوال الشعراء الجاهليين ، فاننا نعثر على امثلة وشواهد لا تحصى ، وكلها تؤيد مـكانة الشاعر الرفيعة في قومه ، من وراء هذه القوة الذي تدفعه الى قول الشعر دفعاً ، فاذا هو قول صائب صادق .

وجاء الاسلام فاتهمت قريش محمداً (ص) بالشاعرية وزعمت ان القرآن شعر . ولكن اين مظاهر الشاعرية فيه واين القرآن من شعر العرب ؟ فـالقرآن ليس موزوناً وزن الشعر ، ولا مقفى كقوافيه ، ونحن نعلم ان العرب هم نقاد الشعر وهم اعرف الناس بأدبهم ، فـكيف ذلك !

يهدينا الى فهم هذا الموقف ، ما يفهمه العرب الجـاهليون من معنى « الشعر » فليس هو الكلام الموزون المقفى ، وانما هو قبل كل شيء الكلام الذى تمليه تلك العوالم الخفية . ويروى عن حسان بن ثابت شاعر الرسول انه قال عندما سمع من ولده عبد الرحمن جملة نثرية حكيمة : « قال ابني الشعر ورب الكعبة » .

ولست ادري كيف عاش هـذا المعنى بعد الاسلام ، ومتى تطور تطوره الذي نفهمه اليوم . ولكن مما لا شك فيه ان ذلك الاعتقاد الساذج البسيط الذي اعتقده عرب الجاهلية ، قد أخذ في الارتقاء والنضج بعض الشيء ، فاصبحوا في بدء الاسلام يعللون هذا الاعتقاد ، فقد روى « الاغاني » عن أشراف المدينة أنهم قالوا عندما جاءهم الحطيئة : قدم علينا هذا الرجل ، وهو شاعر والشاعر يظن فيحقق » . انهم لا يزالون يعتقدون بصدق الشاعر وبقدرته على ما لا يفعل الرجل العادي ، ولكن صدقـه لا يعتمد على عوالم خفية ، كما اعتمد في الجاهلية وانما على قدرة في نفس الشاعر ، فيكفيه ان يظن ويتخيل حتى يصير الامر حقيقة واقعة .

ومن ثم اخذ هذا المعنى بالاختفاء والتضاؤل حتى حذفت صفة العلم والمعرفة عن الشاعر وأبعدت عنه .

فعلى ضوء هذا الفهم للشاعر الجاهلي نستطيع ان ندرس الادب الجاهلي دراسة مجدية ، وان ننتهي في تفسير بعض الظواهر من تاريخ الجاهليين وعقليتهم الى آراء جديدة طريفة .

بهيج عثمان

لبنـــــان في الصيـــــف



• ضيوف من مصر ، ضيوف من العراق ، وضيوف من فلسطين .

القادمون جميعهم مصطافون ، والمصيف هو لبنان ، موطن الصحة والعافية والهناء والسكون وفي الصحة والهناء والسكون خير اماني الرزق والثروة والحياة

• لا ادري أأنت من عشاق الشلالات والجداول والانهار ام انت من محبي الينابيع والبحار او من رواد الجبال والغابات والوديان او السهول والحقول والجنان .

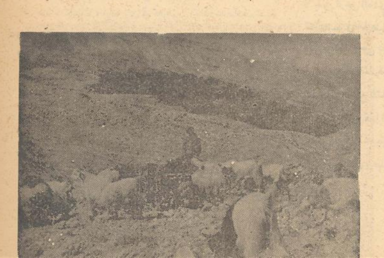
فاذا كنت من المولعين بهذا النوع من الجمال والسحر الحلال فانت لا يسعدك الحظ بنيلها جملة الا في لبنان وما الرونق وما الجمال في لبنان الا مشهد من جنان الخلود

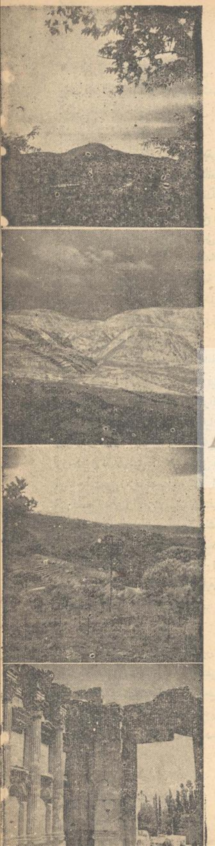
• السماء رقت وراقت ولم يشب صفاءها غيم ولا اعصار ، والارض بساط اخضر نضر تخللته مزارع الكروم تجلل مدارج الجبل وجوانب السهل والعناقيد المتدلية من الدوالي كمصابيح الكهرباء او عقود المرجان تغري العين وتدفع اليد الى المد . . .

وامامك على مرمى النظر القرى الحلوة الصغيرة مختبئة بين الجبال تحاكي قطعان الغنم جاثمة على سفوح الربى وترى اهلها الوادعين يتقاسمون بينهم الدعة والسكون راضين بعيشهم الهني . يقضون صدر النهار منتشرين في الحقول ثم يعودون في المساء الى بيوتهم ويتجاذبون اطراف الحديث اللطيف مما ينفي عن قلبك ما علق به من الهموم والآلام

• السماء زرقاء ، والشمس مشرقة ، والجو رائق

والطير يغرد شتى الالحان ويتراقص على الاغصان كالنشوان بما تحته من صفحات الجمال والفراشات هائمة بين انواع النبات كأن كل فراشة زهرة طائرة او قبلة بين الازاهير حائرة . والناس في كل مكان ينشقون الهواء النقي وشباب القرية يوزعون الوداد ويشاركون الطير على الايك فرحاً ومرحاً فتمتلئ اذناك باغاني المنى تردد صداها الوديان





لبنـــان في الصيـــف

بأطيب الانغام واعذب الالحان

اما اللغة فلغة الضاد تجمع الفؤاد بالفؤاد ، وتربط البلاد بالبلاد ، وتصل الاجداد بالاحفاد

وما اجمل ان تسرح البصر في فنون المآكل وصنوف الفاكهة وتهيم بين الرياض والمروج وعلى ضفاف الجداول وان تقف على الرمل الذهبي معجباً بسلاسل الامواج ، وتراقب العراك المتواصل بين الماء والساحل وتهدهد نفسك امام الينابيع على خرير الماء السلسال ، مياه عذبة نقية

تتدفق جداول وانهاراً من اعالي الصخور وتنساب زلالاً بارداً في بطون الاودية وتجيش فيها جيشان النخوة في صدر ابناء البلاد

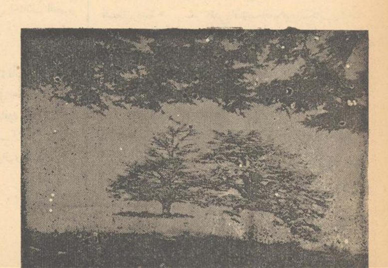
والشلالات تتدلى في هدير فتخالها سلسلة فضية في جيد حسناء فالعسل نبع(١) واللبن نبع(٢) والصفا نبع(٣) والصحة نبع(٤) تبارك الله ما ابدع محاسن جنته وما اغزر ينابيع رحمته !

● هذا هو الماء وتلك هي الخضرة ، اما الشكل الحسن : فثغور ضاحكة ، وجباه مشرقة ، وخدود اسيلة ، وقدود رشيقة ، وعيون ساحرة تقول : يا قلب لك الهناء

ها هنا الجمال ، ها هنا الروعة ، ها هنا الفتنة ، فتنة في الحجر ، فتنة في الشجر ، فتنة في الماء ، فتنة في الهواء ، فتنة في السماء وفي الوجوه الناضرة مجموعة الفتن ، يا للحلاوة ، كيف تطيق العين والنفس الصبر عن هذه العوالم والمعالم

---

(١) و(٢) و(٣) و(٤) اشارة الى نبع العسل ونبع اللبن ونبع الصفا ونبع الصحة



• الطرق معبدة نظيفة انتصبت على جوانبها اشجار الصفصاف يلعب فيها النسيم فتتمايل غصونها وتنشر الاريج وهذه احراج الصنوبر قائمة على سفح الجبل كالحارس الامين تحرس الوادي وتمنع الشمس الملتهبة ان تدنو من الارض

والسيارات حركة وبركة لا يقر لها قرار تمحو الابعاد والمسافات وتخفض كل شاهق عال والقطار الجاهد يهدر في الليل والنهار هابطاً في بطون الاودية وصاعداً الجبال يلقي بحمل الحياة من شاهق ماراً بالقرى ينقل اليها الرائح والغادي .

فان مرّت عيناك بالغيد الحسان على الشاطئ وبدا لك ان تفر الى الجبال من متاعب الاعمال فما عليك الا ان تشد الرحال وتيمم شطر الربوع المزدهرة فاذا بك في غمضة عين فوق الهضبات ترتع بجمال الطبيعة السخية الوفية فتتأمل معاني الوجود وفلسفة الخلود فتجد انس النفس وراحة القلب تحت رونق الانوار المشعشعة واضواء الكواكب الزاهرة اللامعة

تنقل ما شئت ان تتنقل في انحاء الجبال فانك واجد في كل خطوة عالماً من الجمال ، وفي كل وقفة فيضاً من اللذة واحي الليل بطوله في نور القمر محاطاً بالندماء الظرفاء والمسامرين البارعين ، مفتوناً بسورة اللهو وسكرة اللذة وحميا الطرب ، مشغوفاً بالاناقة والرشاقة والملاحة والصباحة والجمال مما يهون عليك مكابدة السفر ووحشة الاغتراب حتى اذا اقترب الليل من الرحيل ولاحت تباشير الصباح قمت على زقزقة العصافير وشدو البلابل وتغريد الشحارير التي تسبح للخالق وتدعو الانسان ان يتذوق الجمال وينعم به قرير العين ويفيق الى الصبوح مع صياح الديك

هذا هو الجبل الساحر ، هذا هو المصيف الباهر ، معنى الحب ومرتع الجمال هذا هو وطني — لبنان — الذي مجدته التوراة وتغنى بذكر محاسنه الشعراء ، وتزاحمت عليه الامم على اختلاف العصور وتوافد اليه الزوار من كل اقطار المعمور

• وطني !

ان من كل قطر رسالة بليغة للنفوس الشاعرة فأنت على صغرك وقلة اهلك تحمل رسالة الجمال لتعمر النفوس بمعاني الحياة ويسكن الناس الى السعادة فيجتمعوا على ورد الحياة متصافين كما ترف على ورد المياه الرياحين . وبعد ذلك فلا بدع ولا عجب ان تملئ ربوعك بالزائرين ويتسابق اليك الضيوف من مصر والعراق وفلسطين

شفيق طاره

تطلب الادب

●

بيروت	من	دار الصحافة والنشر
طرابلس	»	مكتبة زبليط ومن عموم الباعة
زغرتا	»	السيد يوسف بو ديب
حلبا	»	السيد عبدالله محفوض
زحله	»	السيد جوزيف مطران
بعلبك	»	السيد علي الاحمر
دمشق	»	السيد عباس الروماني وعموم الباعة والمكاتب
حماه	»	مكتبة السيد عبد الحميد طباع
حمص	»	السيد عبد السلام السباعي
		السيد توفيق الشامي
دير الزور	»	السيد اديب ملوح
اللاذقية	»	السيد حنا نصره
		عكاظ العلمية لصاحبها السيد احمد خالد مترجلي
طرطوس	»	الاستاذ صالح علي
حلب	»	السيد جان رزق الله كردي
الباب	»	الشهباء لصاحبها السيد محمد سعيد المكتبي
فلسطين عامة	»	شركة فرج الله للصحافة وعموم المكاتب والباعة
بغداد	»	مكتبة السيد عبد الكريم زاهد
البصرة	»	السيد ياسر عبدالله السعدي
الموصل	»	الشعب : السادة عبد النافع فاضل وسعيد احمد
مصر	»	عموم المكاتب والباعة

وهي تباع : في سوريا ولبنان بـ ٧٥ غرشاً لبنانياً ، في العراق بـ ٦٠ فلساً ، في فلسطين بـ ٨٠ ملاً ، وفي مصر والسودان بـ ٥ غروش مصرية



جولة الاديب في شهر : باب جديد تقدمه الاديب الى قرائها ، يحرره كاتب او أكثر عارضاً فيه بعض شؤون الادب والنقد في صحف العالم ، او بعض المقالات المختارة من هذه الصحف ، ويتخلله بين الحين والحين « ريبورتاجات » طريفة منوعة . والكاتب صاحب التوقيع ، وحده مسؤول عن ما يبديه في هذه الجولة من آراء او نقد او اختيار .

١ — تقدير الجمال :

كان الاستاذ الفاضل احمد امين بك قد روى في احد اعداد « الثقافة » الماضية أنه كان يعلم سيدة انكليزية اللغة العربية ، وتعلمه هي اللغة الانكليزية ، وكان الاستاذ الجليل معجباً كل الاعجاب بعينيها تينك الزرقاوين توحيان اروع المعاني ، واحلى المشاعر اذا ما نظرتا .

اما السيدة الانكليزية فكانت تجد صعوبة اية صعوبة في التلفظ بحرف العين ، هذا الحرف الذي تكاد تفقده معظم اللغات . والمت يوماً بكلمة فيها ذلك الحرف ، فحاولت جهدها ان تلفظه فلم يتأت لها ذلك وقالت في زفرة من غضب « ان عينكم هذه تقتلني » فاذا الاستاذ الجليل ينطق من « فيض خاطره » : « وان عينكم اتقتلني » . وعجب بعض الناس ان يروي الاستاذ الجليل مثل هذه القصة العاطفية ، وان احداً لم يمهد عليه تطرقه الى هذا المسلك ، ونقده بعض اصدقائه — كما يقول — ان يذكر مثل هذا في بيئة اكثر فيها الخلعاء من ذكر الجمال وصور الجمال ، واشاروا الى ان من الواجب الا يجاروا في هذا الميدان ، بل يُصدّوا عن هذا التيار حتى لا يغرقهم . . .

اما وجهة نظر هؤلاء الاصدقاء فهي اقرب الآراء الى النقد ، وأحقها بالمناقشة ، ولن نطيل في هذا القول لانه ليس وكدنا ، ولكننا نرى ان في النص على مثل هذه القصة . والتعبير عن مثل تلك العواطف الرقيقة السامية ، داعياً الى ان يعتبر المكثرون ذكر الجمال المبتذل ، والى ان يعجبوا بهذا النوع من التعبير السامي يبعث في النفس اثراً طاهراً شريفاً ، ولعله ان يكون في ذلك رادع لهم عن اديهم الماجن ، وتعبيرهم المتهتك المبتذل ، فينصرفوا عنه ، وسيكون أثرُ امثال تلك القصة عظيماً في نفوسهم .

ولقد كتب الاستاذ الجليل مقالاً في الثقافة يأخذ على هؤلاء الاصدقاء سوء تقديرهم للجمال ، وظلمهم له ، ويدبج لهذه المناسبة مقالاً قيماً يبين فيه اثر تقدير الجمال في خلق الافراد والامم ، وينص فيها على انه لولا الجمال والشعور به لما كان شيء من هذه البدائع والروائع التي تكتنف الانسان وتوحي اليه آيات وآيات : « لولا الجمال لبقيت الكهوف والمغارات هي مساكن الانسان الآن كما كانت مساكن الانسان الاول ، ولكانت حجارة مرصوصة في غير نظام ولا ترتيب ، ولما كانت الحدائق والبساتين ، ولا كان حب الاشجار والازهار . . . ولاختفى كل فن . . . فلا ادب ولا تصوير ولا نقش ولا موسيقى ، ولاختفى كل اسماء الفنانين ، و . . « لولا الشعور بالجمال ما كان في كل ما حولنا من مناظر طبيعية جمال : فشروق الشمس وغروبها . . . والسماء وزرقتها . . . لا قيمة لها في نظر فاقد الشعور بالجمال . . . » وينتقل الاستاذ الجليل من امثلة الحسيات الى امثلة المعنويات فللعدل جماله ، وللحق جماله ، وللتضحية وللشجاعة جمالها . . .

ثم يوضح اثر الشعور بالجمال في تفاوت رقيّ الامم ، واثر هذا الشعور في سموّ الاديان والفنون . ويستطرد الى القول « فالجمال انسجام : جمال الادب في انسجام لفظه مع معناه ، وانسجام ذلك كله مع الكاتب والقارئ ، وجمال الموسيقى في انسجام الاصوات ، وانسجام الاصوات مع النفس . . . »

ولكن . . . ما ادري ؟ هل همي في هذه الكلمة ان الخص مقال الاستاذ وانه لمقال قيم رائع ؟

من همي ان الخصه ، وليس ذلك كلّ همي . . . فلعلّ القاري فطن الى ان الاستاذ الجليل ذكر انواعاً كثيرة من الجمال بل أغلب انواع الجمال . . . ونسي نوعاً واحداً ، او اخاله تناساه ؟

اين جمال المرأة ؟ واين اثر هذا الجمال ، بل اين أثر تقديره في خلق العبقريات ؟ ؟

اما كان هذا التقدير دافعاً كثيراً من مشاهير الادباء والكتاب الى اخراج اعظم الآثار الفنية والادبية ؟ ؟ ألسنا نقول في كل حين

ان جمال هذه المرأة قد جعلت من هذا الرجل اعظم ناثر، وجمال تلك جعلت من ذلك الرجل اعظم شاعر .

والحبّ الا يخلقه الشعور بالجمال ، وكم من رجـل خلده وخلد ادبه ونتاجه حبّ امرأة وجمال امرأة ؟ ؟

جمال المرأة ! ! الست ترى معي ايها الاستاذ الجليل أن آدم لم يشعر بالجمال الا حين نظر الى حواء . او ما ترى ان جمال الطبيعة : الشمس والقمر والنجوم والسماء والبحر والزهر والورد ، يقدر في كل حين بالنسبة لجمال امرأة ؟ وهل من ينكر ان من لم ير امرأة ، فلم يقدر جمالها ، ثم لجأ الى الطبيعة يودّ ان يقدر جمالهـا ، يكون اعمى ما يفهم الجمال ، وما يدري ما هو الجمال . . .

او ما تعتقد بعد ذلك أنّ جمال المرأة هو المقياس العادل لتقدير اي جمال آخر . . .

وما ندري بعد ، لماذا نسيت جمال المرأة او تناسيتها . . . نخال ايها الاستاذ الجليل انك لم تحبر مقالك « تقدير الجمال » لتأخذ على اصدقائك الذين انكروا عليك ذكر تلك القصة العاطفية الهادئة سوء تقديرهم للجمال ، وانما لتؤاخذ نفسك على ذكر تلك القصة . . ذلك لانك تناسيت الجمال الذي اوحى لك بهذا المقال ! ! !

٢ ـ من شعر « الاديب » الماضي

وهذا هو العدد الاخير من « الاديب » الزاهر بين يدي حافلاً بالمقالات ، زاخراً بالشعر . . . وهأنذا في حيرة من امري ايّ مقال اقرأ واي قصيدة أدع . . . ولكن . . . لن اقرأ الآن المقـالات الطوال ، ويلذّ لي قبل كل شيء ان أتلو هذه المقطوعات الشعرية يفيض بها كل عدد من الاديب ، وانما أوثرها على غيرها اذ يصلني « الاديب » لانهـا قصيرة ، ولانني عودت على ان ألفيها رقيقة حلوة . . . وإخال ان ذلك عائد الى ان شعراءها شباب ، او جلهم من الشباب . . . واني لاعلم يقيناً ان اكثر الناس يؤثرون شعر الشباب ومقالات الشباب لانها تفيض بالحيوية ، وتنطق بالفتوة والحياة والجمال . . . ثم الا ترى انك اذ تتلو هذا الشعر تحس ان اجنحته تحملك الى اجواء عاطرة بالاماني ، زاخرة بالصبابات . . . انه خيال الشباب المرن الرقيق يوجه فكرك جهات مختلفة جمة ، فتستشعر نشوة الانطلاق ، ولذة التحرر . . .

ولكن . . . مع ذلك ، افما ترى الشاعر الشاب زعيماً ان يجمح حتى لا يتابعه فكرٌ في جموحه ، قابلاً للغلو والامعان في التخيل حتى تستبهم على القاريء مقاصده ، وتستغلق افكاره ؟ ؟

واذن ، فستسمح لي « الاديب » ان آتي على بعض صور من هذه الصور الشعرية ، واستميح اصحابها العذر في ان اعرض بعضها مستنكراً حيناً ، معجباً حيناً آخر . . .

سأستنكر بعض الصور الشعرية يجمع خيالُ اصحابها حتى يستحيل على خيال القارئ ان يتابعهم فيها وسأعبر عن اعجابي ببعض الصور الاخرى تصدر عن خيال هاديء رفيق يلذّ القاريءَ ان يتابعه . . .

فاطو معي ايها القارئ الكريم الصفحة الاولى ، وانظر الى « شذى » لصلاح الاسير ، واتل هذه الابيات :

وكان لي روضٌ على صدرها   يضحك في ارجائه الجدولُ
مخضوضرٌ غضٌ على سمرةٍ   جُنت على لألائـه الانملُ
يمرّ بي منها شذىً لونه   وجدي بها او حبها الأوّل
او رفّةٌ سكرى على هدبها   ضائعة لمـا تزل تُعولُ

فأما ان يكون للشاعر روضٌ على « صدرها » فتستطيع بعد مشقة ـ ان تتصوّر ذلك ، وان كنت تكاد تنسى صفـات الرياض ! ! واما ان يضحك الجدول في ارجاء ذلك الروض ، فهذا ما اظن انك غير قادر على تصوّره الا اذا اوتيت خيالاً يستسيغ كلّ صورة ! فما هو هذا الجدول ؟

وكيف تتصوّر « الوادي » اعني ، او يعني الشاعر ، الجدول الذي يضحك ؟ ؟ ام ذلك الروض هو عقـدٌ متلألئ ؟ ان كان ذلك كذلك ، فما هو هذا الجدول الذي يضحك في ارجائه : لعلك تقول انه حبّات العقد نفسها تتلألأ ، فكأنها الجدول يضحك ؟!

وانتقل الآن معي الى البيتين الآخرين ، اعني الصورة الثانية انّ « لون » الشذى يُلمّ به منها ، هو وجده بها ، او حبّها الاول ! وتخيل للشذى لوناً هو الوجد او الحب . . . تخيل لوناً جـديداً غير الالوان الطبيعية المعروفة الى الآن . . . افما ترى اننا قـد نتقبل للشذى رائحة الحب والوجد ، او مذاق الحب والوجد ، ولكن انّى لنا ان نقبل للشذى لوناً ؟ !

وهـذه صورة اخرى سنرى ايّ حظ من التوفيق اصابت ، انه اللون دائماً ، لون الشذى الذي هو رفّةٌ سكرى على هـدب الحبيبة . . . رفةٌ سكرى ضائعة ، ولكن لاتحسب انها سكرى ضائعة من النشوة او اللذة ، ولكن من الاعوال والبكاء . واسمع تلخيص هذا المعنى بكلمة واحدة : لون الشذى هو رفّة سكرى ضائعة لمّا تزل تبكي على جفن الحبيبة ! !

كم اتمنى لو ان الله يحبوني خيالاً مثل خيال الشاعر لأتذوق

هذه « الصور » ! !

واقرأ هذه الابيات الهادئة الناعمة من « كتمان » لقنطوس الرامي

وشامات جسمك وشي القبل ... تظل بسر الليالي الاول
ليالٍ تلفلف عريك غب ... ارتواء الشفاه وغب الملل
سألتك بالحب هذا الدفين ... دعيه دفيناً ولا تذكريني
فيبقى كلانا على الدهر سراً ... كأن لم اكن وكأن لم تكوني

فرائعة هذه الصورة : شامات جسمها انما هي وشي القبل التي احتفظت بسر ليال حمراء !!

اقول انه معنى جميل من حيث المعنى المجرد . وتلك السلاسة العذبة ينضح بها البيتان الآخران ليست بأقل روعة وجمالاً : سيبقى هو والحبيبة سرين على الدهر اذا بقي حبهما بينهما سراً . . فكأنهما لم يكونا ، ولم يسمع بهما احد . وهو معنى بلغ منتهى الروعة لانه يعبر التعبير الكامل عن رغبة الحبيبين في الحب الخفي المستتر .

واما في قصيدة « ضياع » لعلي محمد شلق ، فثمة صور وافكار جميلة يستطيع ان يستشفها القاريء ، ولو ان التعابير لم تكن كلها موفقة ، فاستمع مثلاً الى :

كم عابر في البدء لذ الرؤى ... له انتهاء الاحمق المدعي
يقفز بالاوهام من مهيع ... حلو لاراجيح الى مهيع
وتعتريه فجأة وثبة ... تحول الروض الى بلقع
فتختنق الالحان في صمتها ... وتحرق الالوان في المدمع

فتصوير العابر اي الحلم او الخيال في حالاته تلك المختلفة اللذيذة الحلوة في البدء القبيحة وغير المرغوبة في النهاية ، تصوير موفق . ولكن التعابير مثل « الاحمق المدعي » و « المهيع » — ويريد به الطريق البين — وغيرها غير موفقة وغير موافقة للمعاني التي تعتلج في ذهن الكاتب ، ولعل البيت الاخير يصور عدم السمع ، وعدم الابصار ، اجمل الابيات التي ذكرت . واما كلمة « معي » في هذا البيت فثقيلة غير مستظرفة :

وكان ملء النفس ملء الدنى ... ملء العيوب الزرق ملء « معي »

وختام هذه القصيدة ختام عميق يدل على ان الشاعر قد درس علم النفس وتبحر فيه .

وتمتاز قصيدة « حيرة » ليوسف الخال بالسلاسة والسهولة في التعبير ، والمقدرة على ايفاء المعنى حقه من المبنى ولعل نصيباً وافراً من رقة هذه المقطوعة وعذوبتها راجع الى البحر الذي اختاره الشاعر . . .

اما « وصني قرنفلي » فقد قدرت شاعريته من اول قصيدة نشرتها له هذه المجلة الراقية . ومقطوعته « كآبة » من اجمل مقطوعات هذا العدد . وهي تمتاز بالوضوح والجلاء ، كما تمتاز بقوة روح الشاعرية ، الى اشراق في الديباجة ، وروعة في الاسلوب ؛ ولست اجد ما يؤاخذ عليه في هذه المقطوعة ولذلك انقل اليك بعض ابياتها :

عقدت هدبها على حلم ميت ، ولفت آلامها بابتسامه
ولوت جيدها ، كما لوت العنق على مرهف الشفار حمامه
ماتت الذكريات الا ظلالاً حضنت قلبها ولمت حطامه
ييبس الدمع في الجفون ، وغض النظر الميت لايرى ماامامه
غام وانشقت الكآبة عن آه ، واغفت على الشفاه ابتسامه
ايه دنياي . . . ثم خطت بعينيها على صفحة الفضاء علامه ؟

اضع هذه الابيات الرقراقة دون ان اعلق او اشرح او انقد . . .

اما مقطوعتا محمد علي الحوماني فقد الهمته اياهما العيون . . . وكلمة « العينان » ذكرت فيها اكثر من ثماني مرات . ولكن لا بأس ، فطالما كانت العيون نبعاً فياضاً للمعاني الرائقة ، وطالما الهمت الشعراء والادباء الدواوين والكتب . وان اعجب بشيء فبذلك « الخيال الساري » يعتصم به الشاعر كلما ضجت الحقيقة في اذنيه ، فيرى ما لا تراه عين .

كلما ضجت الحقيقة في اذني ... اخلدت للخيال الساري
وتسنمت ذروة الافق الاعلى ... الى كل كوكب سيار
فأرتني عيناي انك في آفاقها بعض هذه الاقمار
وارتني عيناك اني والكون غريقان منك في تيار . . .

فاذا رأى في عينيه ، فانه لا يعرف اين هو ، واما اذا رأى في عينيها فانه غريق مع الكون في تيار منها !.

ويقول « نقولا ابسترس » متكلماً عن قلبه :

خافق كافر اقول له هاك الاماني يقول هات الامانا
واقول الهوى فيخفق ذعراً ... ويقول الهوى يجر الهوانا

فهذا الجناس لا يوحي بأي استنكار ، بل يعجب القاريء ، ويلذه « والشباب » ينبض ويخفق بقوة وحيوية في هذين البيتين :

ايها الخافق الصغير ترفق ... بشبابي واحسب حساب عذابي
اي عرق يجري شبابك فيه ... هو لا يذوي يوم يذوي شبابي

واما مقطوعة الدكتور سليم حيدر ، فليست بأقل « رقة » من قصائد العدد ، ولكننا نرى ان اسلوبها اوسع من مادتها .

٣ – الدكتور مبارك يشكو !!

اما الدكتور زكي مبارك فقد عاش طوال عمره يشكو . . . وما اخاله الا ممعناً في الشكوى فيما يتبقى من عمره المديد ان شاء الله . . . وهو منذ اخرج اول كتاب ، الى ان اخرج آخر كتاب من كتبه المعجبة ، لم ينِ يتهم زمانه واهل زمانه بالظلم والعقوق والعدوان . . . يتهم تاريخ الادب بالانصراف عن تسجيل نتاجه النابض بالحياة ، المو ّار بالعاطفة والقوة . . . ويتهم الادباء . . . شيوخ الادباء ، بالتغاضي عن الاشادة بأدبه البارع ، وعن تطرية كتابته الفذة . . . يتهم الناس جميعاً بسكوتهم عن الاعتراف بأنه من اوائل الكتّاب ، بل الشعراء . . . من اوائل كتّاب عصره في بلاده بل في بلاد العرب كلها . . .

وها هو اليوم يدافع عن نفسه ان يأخذ عليه كبار الادباء التحدث عن نفسه ، لا بل الثناء عليها ، ويعترف بأنه كثيراً ما اثنى عليها ولكن متحدياً ، دافعاً عنها التهم . وكل غايته ان يبرّر الثناء عليها ، ويُظهر الناس على ان في ذلك واجباً يقتضيه تاريخ الادب .

اما ان يتحدث كاتب عن نفسه ، فذلك غير مرغوب عنه ، لا سيا اذا كان هذا الكاتب يُحس في نفسه دنيا تمور بالعواطف والاحاسيس وتزخر بالمعاني والخطرات ، كما هو الشأن في دنيا الدكتور مبارك . . واني لأعتقد صادقاً ان ادب الدكتور مبارك ادب فذّ لم تعرف العربية مثله ويخيّل اليّ انها لن تعرف مثله ولقد كتبت منذ سنتين او ثلاث اتحدث عن هذه الدنيا عن مظاهرها ومجاليها ، عن معارجها ومعاطفها ، عن ثناياها وطواياها واسجل اعجابي الصادق بهذه الشخصية التي اراد ان ينكرها الاستاذ العقاد ، فكان افدح خطأ ارتكبه في تاريخ الادب . . .

اقول إن ادب الدكتور مبارك مفقودٌ لو انه نسي فيه نفسه والواقع انه ظاهر بارز في معظم كتبه لانه حرّر هذه الكتب وصنّفها على نور هذه الثقة بالنفس تملك عليه كل تفكيره . .

واذن ، فان في السكوت عن التحدث عن النفس خسارة للادب او ثغرة يسعى الدكتور الى ملئها واخالهُ قادراً على ذلك .

فاما ان يثني كاتب على نفسه بما ليس فيه ، وبما هو محض باطل وزور ، فهذا ما لا يعلّق عليه لانه ابغضُ شيء الى الادب ، واول شيء على ان هذا الكاتب ابعدَ الناس عن ان يكون له فضل .

واما ان يثني كاتب على نفسه بما هو اهل له ، وبما هو الحق المحض ، فقبول هذا او رفضه موقوف على الظروف التي تكتنف الكاتب .

لقد تنبه اناس قبل غيرهم الى الكتابة ، وليس ذلك عائداً الى انهم اعمق فكراً ، او اكثر اهلية للكتابة من غيرهم ، وانما ذلك عائد الى انهم اكبر سناً وابعد مولداً . . .

ولسنا ننكر انهم جهدوا كل الجهد للمساهمة في بذر بذور النهضة الادبية الحديثة ، وكان لهم فيها يدٌ طولى ، وزيغٌ وضلال الاّ يعترف المرء بذلك . . . ولكن هؤلاء المتقدمين وقد ساروا شوطاً يسجل لهم بالاعجاب ، لم يريدوا ان يلتفتوا الى من وراءهم ، ولم يولوا احداً ممن يتأخر عنهم ايّة عناية ، وان كانوا غير بعيدين ان يعترفوا لهؤلاء — فيما بينهم وبين انفسهم — ببعض الفضل . . .

وهذا موقفهم ممن يخلفهم . . موقف تغاضي . . . لا عن الاخطاء ، ولكن عن الاعتراف ببعض الفضل بَلهَ الفضل كله . فكيف يكون موقفهم ممن يخلفهم اذا كان هؤلاء يثنون على انفسهم ، ولو كان في هذا الثناء كثيرٌ من الحق ؟؟

اولئك شيوخ الادباء . . . وهؤلاء شبابهم !

افما آن للدكتور مبارك ان يفطن الى ان هؤلاء الذين يشكو منهم انما هم شيوخ ، وانما هم « يعتبرونه » من شبان الادباء ؟؟ .

لعلّ الدكتور منصرف عن هذا الثناء على نفسه ، اذ يتحقق من هذا كله ، او من بعضه ، ولعله ان يجتزيء بالتحدث عن النفس وانا على يقين ان له تلاميذ في كل مكان يودون ان يتكلموا ، ان يعبروا عما يعتلج في خواطرهم . . . وانما يتقاعدهم عن ذلك انه هو نفسه لا يدع لهم مجالاً للحديث . . .

فعد قليلاً عما انت فيه ، وافسح لهم في المجال ، فعسى يكون لاصواتهم صدى استحسان !!!

سهيل ادريس



دراسات عن ابن خلدون

للاستاذ ساطع الحصري – ٣٢٦ صفحة – مطبعة الكشاف ببيروت

هذا كتاب . لا ما نعلل بـه من كتابات تجيء دون الموضوع وتضيق عن الشخص كثيرا ، ولذا اجدني مسرورا بالاطلاع عليه ، وفوق ذلك اجدني مغتبطاً بالتحدث عنه ، ولعل القراء ايضاً سوف يشاركونني هذا السرور وهذا الاعجاب

وبحق احسست بما احسست به من لذة وشغف ماتعـين ، دون ان اذكر ان مؤلفه مرب كبير ، ودون ان يستهويني انه يتمتع بـين ابناء البلاد العربيـة بهالة تقدير .

وماذا يهمني ان يكون المؤلف باحثاً نابغاً اذا لم يكن التأليف هو الباحث النابغ ، بل على العكس يبدو اكثر قبحاً واسفافاً .

إن التأليف هو ذلك الكائن الذي يخالطني والذي هو شديد الصلة بي فأنا اعرفه وحده مجردا دون ما وراء ، مثلما اعرف جمال الوليد فيه وليس في وجه ابويه ، والمواليـد الفكرية هي شيء مثل هذا في غير ما فرق كبير . وكم يبدو مستهجناً ان نسمي المولود القزم مخلوقاً ممشوقاً وعملاقاً ايضاً ، لانه انحدر من صلب مخلوق ممشوق وعملاق كذلك .

هو منهج نستهجنه وان كنا لا نعهد غيره في اكثر ما نقول ونكتب فاذا عدنا الى واقع ما نكتب عنه نسخر طويلا ونقابـله بابتسامة مغلفة بمعان شديدة الانبهام والغموض .

ولكن هذا التقييم المعكوس ثبت في طباعنا ، فانتهينا وقد استحالت ينابيع القيم الى فساد ، ومالت صفة النقـد فينا الى ضمور وانطفـاء ، وانحدرت حاسة الفن لدينا وهي عديمة التذوق .

يـد ان التطور الارتقائي في دائرة الحياة المعنوية الكامنة يستنـد الى الانتخاب ، والانتخاب يستند الى حاسة الفن ودرجة نشاطها وتقديرها . فاذا اضمحلت فعاليتها فقد انحطت الحياة المعنوية والخط الحي تبعاً لها الى مستوى نوعي ادنى ، حيث لا خلق ولا ابتكار ، حيث لا تفتق ولا تألق ولا ازدهار ، حيث لا دافع سوى الطبيعة الجامدة في غـير ما حس ، الراسبة في غير ما تطلع او استعلاء .

ان الفرق بين المتقهقر والمتقدم ، ان الاول يعيش بالحياة والثـاني يعيش بالفن ، والفن لا يتفق وجوده الا في الصدق . اما الذين يتخذون الملق قاعدتهم ، فانهم يتآمرون بقصد ودون قصد بسلامة الفكر وبوارز الامتياز الانساني ، ثم بقداسة كل اولئك .

ونحن ننظر من ناحية اخرى الى ان طبيعة الفكرة انما تتمم على وجهها الاكمل بين المبتكر وبين الناقـد ، فيقتضي فيها الصدق الذي ينتـهي بأولها الى القبول وبثانيها الى الاخلاص .

وعلى سنة هذا اللون من الفكر وتحت املائه ، اتناول هذا الكتاب الذي اراني معجباً بـه في حظ كبير واحس بـه قريباً الى نفسي في نصيب وافر . ولعل من الخير ان اصل بالقارىء الى الكتاب ، ليحيط به علما في غير زوائد تبعده عنه .

في ترجمة حياة أغاسيز الحيوي الفرنـي الكبير ، يروى انـه بعد ما انتقل الى امريكا استطلع رأيه في مؤلف ضخم في الحيوان فقال عنه : هوجيد لكنه وصفي لا تعليـلي . ولفظ بها أغاسيز كلمة انجليزية في لهجة فرنسية ، وظلت كلمته بلهجتها مثلًا في دور العلم للبحوث التي لا تبلغ الغاية .

اما هذا الكتاب – وهنا تبرز قيمته – فقـد جاء وصفياً وتعليلياً ، على صورة ائتلفت فيها الناحيتان ائتلافاً كبيرا وحسناً . ووفاء بقيمة الكتاب وقيمة الموضوع الذي يشعرنا بفخار واعتداد بالفكر العربي كلما عاودتنا ذكراه يجدر بنا ان نعرض الكتاب في هذا التقسيم :

١ – القسم الوصفي : ينتظم هذه الطائفة من الفصول وهي :
ابحاث المقدمة ، الفصول المنسية والمهملة ، حياة مولف المقدمة ، تاريخ كتابة المقدمة ، طرافة المقدمة وتأثيرها ، لغة المقدمة ، كلمة العرب في المقدمة ، حول نسب ابن خلدون ، ابن خلدون وفلسفة التاريخ ، ابن خلدون وفيكو ، ابن خلدون ومونتسكيو ، ابن خلدون وعلم الاجتماع ، مقدمة ابن خلدون في نظر علماء الغرب . وأجـد من الخير ان نتناول بعض هذه الفصول ببعض من الدرس والتعريف .

في فصل ابحاث المقدمة : بعدما يسرد المؤلف طائفة البحوث التي توفر ابن خلدون على العناية بدرسها ، ينتقل فيقيـمه ص ٥١ – ٥٤ على تصرف استباحته الطباعة المختلفة لنفسها في التبويب ، واقدمت عليه بسهولة في غير تعريف كان واجباً ، ونحن نرى هـذا الرأي ايضاً كي يتأتى لنا الى جنب الدرس لافكار المقدمة درس طريقة التبويب وتصنيف طبيعة الفكرة عند ابن خلدون ، هـذا النوع من الدرس الذي لا يقـل اهمية عن درس افكاره بالذات .

ثم ينتقل فيلاحظ ص ٥٥ ملاحظة هامة مما انخدع به بعض الباحثين من تقدير اهمية العوامل عند ابن خلدون بعدد ما كتب عنها من صفحات وكان هذا سبب ما اشتهر خطأ من انه يقيم اكبر الاهمية للبيئة الجغرافية والدين في نظرية الاجتماع . واخيرا ينتقل في الفصل المذكور الى رأي قيم جدا في تقسيم معلومات المقدمة ص ٥٦ فيجعلها تـدور على قطبين : مباحث اصلية يعبر الاستاذ المؤلف عنها بأنها مدخل اجتماعي للتاريخ ، ومباحث استطرادية يعدها بمثابة دائرة معارف ثمينة جدا .

وفي فصل حياة مولف المقدمة : يلقي على ابن خلدون نظرة اجمالية يشفعها بمثلها فيما يختص بالحياة السياسية للمجتمع الاسلامي الفسيح . فيعرض جوانبه لعهد ابن خلدون عرضاً سريعاً الا انه جـلي مع ذلك ، ويعرض جوانب تأثيره في ابن خلدون عرضاً موفقاً ، فاذا هو واقـع تحت تأثير نزعتين قويتين مختلفتين ، نزعة السياسة والحكم التي استسلم اليها اولاً ، ونزعـة العلم والتفكير التي استسلم اليها ثانياً واخـيرا ص ٦٠ – ٦٥ . وبعد مطاف غير طويل حول حياة ابن خلدون يضعها في ثلاثة ادوار .

(ا) دور العمل السياسي في المغرب استمر نحو ربع قرن « ١٣٥٠ – ١٣٧٤ » .

(ب) دور الاعتزال والتفكير استمر نحو اربع سنوات فقط « ١٣٧٤ – ١٣٧٨ » .

(ج) دور الانصراف الى التأليف والتدريس استمر نحو ثمانية وعشرين عاماً « ١٣٧٨ – ١٤٠٢ » .

وفي فصل تاريخ كتابة المقدمة : يتساءل الاستاذ المؤلف بكلمات متى؟ واين ؟ وكيف كتب مقدمته ؟ . ويعني بالاجابة عليها في فصل طويل، ولكن الشيء البارز هو ان ذهن ابن خلدون الباحث الوقاد كان لا ينفك عن اختزان الملاحظات تلو الملاحظات ولو بصورة لا شعورية ، وعندما تهيأ له الهدوء تفاعلت تلك الملاحظات المخزونة تفاعلاً شديدا انبثقت معه ابحاث المقدمة انبثاقاً ، وهي انما حدثت من جراء تدفق فجائي بعد حدث باطني واختمار شعوري ، هذا التدفق الذي يحمل المفكر نفسه على التعجب من نتائج تفكيره ، وقد اتفق هذا لابن خلدون بالفعل فعد مقدمته الهاماً ص ٧٠ – ٧١ . والاستاذ المؤلف لا يكاد يفرغ من هذا حتى يحس في المقدمة بآثار نزعة صوفية حادة تزحم نزعة اخرى عقلية علمية ، فاذا به يتساءل مرة ثانية : اكان هذا نتيجة تطور حدث في طراز تفكيره ، ام شيئاً صحب تفكيره منذ بدايته ؟ . واذا به يحاول الاجابة ملحاً ، واذا به يعتمد طريقتي النقد الداخلي والخارجي فيطبقها على المقدمة في توفيق كبير ، واذا به ينتهي انتهاء حسناً الى التمييز بين ما كتبه ابن خلدون في مصر وما كتبه خارجها ص ٧٢ – ٨٧ ، ولعل هذا الفصل من اعمق فصول الكتاب عامة .

وفي فصل طرافة المقدمة وتأثيرها : يدلنا على مبلغ فخر ابن خلدون بما وفق اليه من ابتكار نظرية التاريخ وتفسيره ، ويدلنا على انه كان يدرك ادراكاً واضحاً بأنه وضع اسس علم جديد . ثم يسجل بانصاف كبير ، ان مقدمته وجدت اكبر الصدى واثرت اشد التأثير في مؤلفات المؤرخين العثمانيين عامة الذين استلموا اسس التاريخ من ابن خلدون ص ٩٥ .

وفي فصل لغة المقدمة : بعدما تناول بنظرات تمهيدية عملية النقد التفسيري ومقام هذا النقد في درس التاريخ ، يتسع لطائفة من الامثلة اللاتينية والفرنسية التي مرت في تطورات مختلفة والتي كان لها بين عصر وعصر مفهوم خاص ص ٩٨ – ١٠٢ ، متوسلاً بهذا الى ايجاب العناية بلغة ابن خلدون كي نفهمه على الوجه الصحيح له ، وهو يسوق بعد ذلك جملة من التعابير مثل العمران بمعنى الاجتماع والتنازل بمعنى التساكن والابنية بمعنى الخيام ص ١٠٣ – ١٠٦ .

والاستاذ المؤلف يجعل هذا الفصل تمهيدا في الواقع لدرس كلمة العرب في المقدمة وبيان مراد ابن خلدون بها ، وهو يتوصل بعد ايراد وثائق لغوية واسلوبية ابعد عهدا من صاحب المقدمة ص ١٠٨ – ١١٢ ، وبعد احصاء للكلمة في تعابير ابن خلدون وليس في المقدمة فقط ومقارنتها ، يقطع في يقين واطمئنان انه يعني بالعرب الاعراب ص ١١٣ – ١٢٢ ، ولكي يضع حداً لكل ريب في هذا ينصرف الى تأكيده بما فهمه المستشرق البارون دوسلان في ذيل ترجمته الفرنسية للمقدمة وبما فهمه جودت باشا في ترجمته التركية ص ١٢٣ .

وفي بحث حول نسب ابن خلدون : بعدما تعرض الى شك مؤلفين مصريين في نسبه العربي الخالص ، وبعدما عرض لبيان قيمة هذا الشك وقيمة ما استندا اليه من شواهد ، يعود فيقطع بأنه كان عربياً صليبة ويطعن كل رأي ايضاً يتهم ابن خلدون بالتشيع للبربر ضد العرب ، مؤكدا ان مثل هذا الشك في نسبه وممالأته المزعومة للبربر يخالف مقتضيات الابحاث العلمية مخالفة كلية ص ١٢٦ – ١٣٦ .

وفي فصل ابن خلدون وفلسفة التاريخ : يؤرخ اولاً لذلك التعبير « فلسفة التاريخ » وانه استحدث في القرن الثامن عشر ، لكنه يسجل ايضاً ان التفلسف في التاريخ قد بدأ فعلاً قبل ابتكار تعبيره الخاص بمدة طويلة ، على انه مال الى الانكماش اليوم موسعاً المجال لاسم جديد هو علم التاريخ ص ١٣٧ – ١٣٨ . ثم ينتقل في الفصل نفسه الى مقارنة اهم الكتب التي تتعلق بفلسفة التاريخ الى العصر الحديث مع المقدمة ، فيفيضها بلسان روبرت فلنت الانجليزي في كتابه « فلسفة التاريخ في فرنسا والمانيا » اذ يكتفي المؤلف بنقل صفحات ممتعة عنه وبالاحرى نقل نتف تشير الى صفحات ص ١٣٩ – ١٤٣ .

وفي فصل ابن خلدون وفيكو : يستطرد بمقدار من حياة فيكو وآرائه التي ضمنها كتابه « العلم الجديد » ، وهو مقدار كفيل بتكوين صورة تامة لدى القارئ، ص ١٤٣ – ١٦٠ . ثم يجيء الى دراسة مقارنة بينه وبين مفكرنا العربي صاحب المقدمة ، والاستاذ المؤلف يحصر المقارنة في النقاط التالية وهي :

(ا) العمالقة ككائنات كان لها وجود في التاريخ واليها تعزى المباني الشاهقة والهياكل الضخمة ، فابن خلدون ينكرها ويعزو المباني الى عظم الدولة التي يتسنى لها حشر الفعلة من كل مكان ، وفيكو يؤمن بهذه الكائنات ويفسح لها مكاناً هاماً عند البحث في سير التاريخ ونشوء المجتمعات البشرية ص ١٦٣ – ١٦٤ .

(ب) علاقة الاجتماع بالدين ، ابن خلدون لا يشترك في الرأي مع القائلين ان الاجتماع لا يقوم الا بالدين ، بينا فيكو يقول لولا الدين لما وجد اجتماع على الاطلاق ص ١٦٥ .

(ج) طريقة البحث والتفكير ، اننا في الوقت الذي نجد ابن خلدون يسير على طريقة الاستقراء نجد فيكو لا يهتم بالوقائع كثيرا ويستند الى ما يشبه ان يسمى طريقة رياضية ص ١٦٧ . وهي مقارنة انتهى بها وبالاحرى انتهت به ، الى تفضيل ابن خلدون من كل وجه ص ١٦٩ – ١٧٠ .

وفي فصل ابن خلدون ومونتسكيو : يأخذ مأخذ الفصل السابق فيمر بتعريف مونتسكيو تعريفاً يسمح للمطالع بمتابعته فيما يتوخاه من المقارنة ص ١٧١ – ١٧٤ . ثم يمضي فيها بعد ان سبق الى الادلاء بملاحظة من الضروري اثباتها لنمضي معه في المقارنة على وجه صحيح ، وهذه الملاحظة هي ان ابحاث مونتسكيو في كتابه « روح القوانين » تتكاثف وتجتمع حول نظريتين كبيرتي الاهمية :

(ا) تأثير الطبيعة والاقليم في الطبائع وسير التاريخ .

(ب) تأثير الاحوال الاقتصادية في وقائع التاريخ . . ومونتسكيو في نظر مؤرخي العلوم لم يكن مبتكرا للاولى وكان مبتكرا للثانية لهذا يهتم المؤلف بحصر المقارنة بينهما في النظرية الثانية . فيتساءل أكان يحق مبتكرا لهذه النظرية ص ١٧٥ ، وهو يجيب في جزم ودون تردد بأن الاصح ان يقال ان شرف ادخال عنصر الاقتصاد في علم التاريخ يعود الى ابن خلدون الذي سبق مونتسكيو بثلاثة قرون ونصف القرن والذي يفوقه ايضاً بعمق التفكير ص ١٧٧ – ١٨٠ . ثم ينتقل بالسير

في المقارنة بينهما على ابرز المسائل الاقتصادية التي اشتركا فيها ، مثل مسألة اشتغال الدول والامراء بالتجارة ص ١٨٣ – ١٨٦ ، ومسألة علاقة ظلم الدولة واحوالها بعدد النفوس ص ١٨٨ – ١٩٢ .

وفي فصل ابن خلدون وعلم الاجتماع : اجتهد المؤلف ببيان ان اوغوست كونت ليس اجدر من ابن خلدون بأن يسمي واضع علم الاجتماع ، بل على العكس هو ذو حق اقوى بشرف هذا اللقب، والمؤلف يتأتى الى اثبات هذا في شيء غير قليل من سلامة التطبيق ص ١٩٤ – ٢٠٥ وكان من حق هذه المقارنات ان تنظمها في سلك القسم التعليلي بما فيها من نقد وتحليل وتعادل ومفاضلة ، بيد ان اسلوب المقارنات لا نطمئن اليه كثيرا في النزعة المنطقية للحكم والقطع الا على مقدار ادبي بحت . اذ هو اسلوب يشتمل على مفارقات ومبالغات ليست تقود الا الى نتائج ادبية خالصة ، كما انه يستند الى افتراض الازدواج في النشاط الكامن من كل وجه ودون اثباته ما يبرر ويحمل على عدم الاطمئنان الى نتائج هذا الاسلوب كثيرا ، بله خصائص الشخصية الكامنة التي لا تقبل مثل هذا الازدواج في الفكر الذي تفرضه طبيعة المقارنة .

وفي فصل مقدمة ابن خلدون في نظر علماء الغرب : يؤرخ لمعرفة اوربا بابن خلدون التي بدأت على شكل بارز بين المستشرقين في اوائل القرن التاسع عشر وان عرفه دربلو في اواخر القرن السابع عشر معرفة ضئيلة ، والتي بدأت بين العلماء عامة في اواخر القرن المذكور بعد نشريات هامر وشولتز . والاستاذ المؤلف يظهرنا بعد ذلك على شدة تقييمهم لمقدمته ، ولعلنا نقرأ هذا التقييم بمبالغة في مؤلف توينبي الاستاذ في جامعة اكسفورد الذي يحمل اسم « دراسة في التاريخ » ، ولعلنا لا نحتاج وراء هذه الفقرة منه الى احفل منها (ان ابن خلدون قد ادرك وتصور وانشأ فلسفه للتاريخ ، ومقدمته بلا شك اعظم عمل من نوعه خلقه اي عقل في اي زمان ومكان) ص ٢٠٧ – ٢١٩ .

٢ – القسم التعليلي : وهو ينتظم هذه الطائفة الباقية من البحوث وهي :

جولة بين التواريخ والمؤرخين ، موضوع التاريخ ومهمة المؤرخ ، طبيعة الاجتماع ومنشأ الحكم ، العشر الاجتماعي والتقليد ، طبائع الامم ، نظرية العصبية ، الخط والكتابة .

وهي في مجموعها فصول تدور على شرح ابن خلدون وتعليل آرائه في شكل لاذ طريف ومحقق ايضاً ، يقربه الى معرفتنا كاملاً مستوياً ، تدهشنا عبقريته وتمتعنا طرافته ، وبين الدهشة والمتعة لا تفتأ تغرينا به لفتات ذهنه الكبير الدائمة الالتماع والاشراق .

وكان بودي لو ساعد المقام ان اثبت جملة ملاحظات تدور حول تحقيق مصادر المقدمة ، وبيان انها لقيت لدى العرب وبالأخص عرب الاندلس قبولاً حسناً حتى غدت في اشبيلية كتاباً مدرسياً على ما اثبته ابن المقري في نفح الطيب ، وبيان حقيقة مفهوم كلمة العرب عند ابن خلدون وفي عصره ، وعسى ان يسمح لي الظرف بالعودة الى الموضوع وتحقيق هذه الملاحظات في مقال مستقل يشرح كثيرا من غموضها .

وانا لا يسعني بعد هذا الا ان اهنئ الاستاذ المؤلف على توفيقه الذي هو ليس بدعاً منه او غريباً عنه ، بله انه جاء في محله من الفراغ والحاجة وسط دراسات كثيرة عن ابن خلدون مرتجلة او بتراء .

عبد الله العلايلي

منهج البحث التاريخي

للدكتور حسن عثمان – ٢٧٤ صفحة – مطبعة الاعتماد – القاهرة

من النادر انك تظفر بكتاب تاريخ وفق الطريقة المنهجية الحديثة ، واندر كثيرا انك تظفر بكتاب يعالج منهج البحث التاريخي في طرائقه التي تلزم فيه واساليبه التي تلزم له . بيد ان هذا النوع من المعرفة جدير بالعناية جدير بالتصنيف فيه ، وفوق ذلك ضروري غاية حدود الضرورة سيما والميل الى التاريخ قد اتخذ شكلاً بارزا وسط اشياء تحضنتنا الحديثة

والكتاب ومن ورائهم الناشرون رغبة باشباع هذا النهم الادبي او رغبة بارضاء نزعات ونزغات ، ذهبوا يوسعون في حدود الفرع التاريخي الادبي حتى باتت جهودهم قاصرة عند دائرة هذا الانتاج . ولعلنا اذا مضينا في عملية احصاء واسعة النطاق تبدأ من اوائل القرن العشرين الى اليوم على سلسلة المنشورات العربية ، نجد ان اكثرها لا يجاوز دائرة التاريخ الحضاري او الادبي او العقلي او الملحمي ، واكبر الكتاب الذين هم في سمع الجيل وبصره – على تعبير القدماء – يدينون في قيمهم الى الانتاج التاريخي البحت . وليس هذا ظاهرة غريبة ، فاننا نعرف جيدا ان النهضات يصاحبها في اولها مثل هذا الانتاج ، رويد استعدادها للفكر الابداعي .

ولكن هذا الانتاج اذا ظل مطلقاً من القيود نفياً من الضوابط ، فانه سوف يضعنا امام كتلة رابية من الاوهام والاخطاء والتقديرات المرسلة ارسالاً ، ومن ناحية اخرى امام تشويه تاريخي كبير قد وقع بعضه فعلاً في طائفة غير قليلة من الكتب الذائعة الشائعة .

فلا بدع اذا شعرنا بالحاجة الى الطرائق الفنية لكتابة التاريخ ولابدع اذا ألحجنا بها ايضاً ، كضرورة من الضرورات وسط ما يزخر به المحيط من كتابات تاريخية – لا نستبيح لانفسنا ان نسميها دراسات – تقوم على الافتراض وتستند الى الارتجال أو البساطة .

وجد طريف وجد مهم ان تنصرف عناية الاخصائيين في هذا الفرع الخطير من المعرفة ، الى نشر نتائج دراساتهم مثل الدكتور المؤلف في كتابه القيم الذي نتناوله الآن بالتعريف ، ومن قبله الدكتور اسد رستم في كتابه مصطلح التاريخ الذي كان اول كتاب في العربية عن منهج البحث التاريخي بالمعنى العلمي . الحديث على حد تعبير المؤلف ص (و) من التصدير .

وقدماء المؤلفين في العربية لم تفتهم العناية بهذا الضرب ، فقد افرده بالتأليف القاضي ابن شهبه في كتاب اسماه (اصول التواريخ) ، وخصه بفصل جيد رشيد الدين فضل المتوفى سنة ٧١٨ ه في كتابه « جامع التاريخ » ، وكذلك القاضي عياض المتوفي سنة ٥٤٤ه في كتابه جامع التاريخ ثم صرحوا بأن ضوابط الحديث هي ضوابط الاخبار فيكون علم مصطلح الحديث نفسه علم مصطلح التاريخ وان تسامحوا في التطبيق على التاريخ نوعاً ما .

والمطلع يعثر في غضون كتب محققي المؤرخين على نقد دقيق ، من مثل قول ابن حجر العسقلاني في اول كتابه انباء الغمر ينقد به كتاب العيني المسمى تاريخ البدر في اوصاف اهل العصر « ذكر العيني ان ابن كثير عمدته في تاريخه وهو كما قال ، لكن منذ قطع ابن كثير صارت عمدته على تاريخ ابن دقماق ، حتى كان يكتب منه الورقة

الكاملة متوالية ، وربما قلده فيما جم فيه حتى في اللحن الظاهر مثل الخلع على فلان ، واعجب منه ان ابن دقماق يذكر في بعض الحوادث ما يدل على انه شاهدها ، فيكتب البدر كلامه بعينه وتكون الحادثة وقعت بمصر وهو بعد في عينتاب » .

وعلى هذا الطراز يذهب في نقد كتاب العيني ، وهو من نوع النقد الظاهري ومن نوع النقد الباطني السلبي يبدأ بعملية التحليل على ادق ما يكون واعمق ما يكون ايضاً ، ومثل هذا كثير كبير ، ولو توفر الباحث على استقصائه واحصائه لخرج منه بمؤلف جد نفيس وضخم يعرف بمناهج نقد القدماء على كمالها . وكم كنت اتمنى لو ان الاستاذ المؤلف عني بين يدي كتابه بفصل يؤرخ فيه لنظرية القدماء في التاريخ وطرائقهم فكان بذلك يربط لنا بين حاضر المعرفة وبين ماضيها ويقربنا من الانسجام في التسلسل الفكري .

ومها يكن فالكتاب من بعد هام في موضوعه الى درجة قصوى ، وان كان للدكتور رستم فضل السبق والانشاء فللدكتور حسن عثمان فضل التهذيب والتجويد . ولعل من الخير ان اصل بالقارىء الى عرض الكتاب عرضاً يسمح بتكوين فكرة عنه .

يبدأ الاستاذ المؤلف في المقدمة بتحديد معنى التاريخ ، بأنه استقصاء وبحث حوادث الماضي او هو مطلق مجرى الحوادث الفعلي التي وقعت واستمرت وتطورت نتيجة ظروف وعوامل مختلفة ص ١ – ٢ .

ونظرا للعلاقة الوطيدة بين حياة الانسان وبين القرون الماضية ، فلدراسة التاريخ اهمية كبرى اذ به يفهم نفسه ويكتسب خبرة السنين الطويلة ، كما ان التأمل في الماضي يبعد الانسان عن شخصه فيرى ما لا يراه في نفسه بسهولة من مزايا واخطاء الغير ص ٤ . وهذا يقضي بأن يكون للمؤرخ مجموعة صفات ومجموعة مزايا اذا لم تتوفر فيه فلن يكون مؤرخاً ، فالمؤرخ يجب ان يكون محباً للعمل جلدا صبورا غير محجم امام ندرة المصادر وغموض الحقائق التاريخية واختلاطها ، وان يكون اميناً شجاعاً مخلصاً فلا يتحيز ولا يغرض ، وان تكون ملكة النقد لديه موفورة وعقله مرتباً منظماً ، ثم ان يكون صاحب احساس وعاطفة وخيال فيبعث التاريخ حياً ويحيا في التاريخ ص ٥ – ٧ . ولكن كيف يسلك المؤرخ الخليق جدا بلقب الطريق الى غايته ؟ وما منهج البحث التاريخي الذي يمضي عليه ؟ . . يجيب الاستاذ المؤلف بأن المنهج هو المراحل التي يسير خلالها الباحث كي يصل الى الحقيقة التاريخية ، وهذه المراحل تقع في :

اختيار موضوع البحث ، وجمع الاصول والمصادر ودراستها ونقدها ، واستخلاص الحقائق منها ، وترتيبها وتنظيمها ، وعرضها عرضاً تاريخياً معقولاً . ثم هو ينبه على ان المقصود بالحقيقة التاريخية ليس الحقيقة المطلقة بل الصحيحة نسبياً ، فان دارس التاريخ لا يستطيع وضع الحوادث امامه في بوتقة التجارب كما يضع الطبيعي المادة في المختبر ويشاهد بنفسه التغيرات والتحولات التي مرت عليها ص ٨ – ١١ .

وفي الفصل الاول يسرد العلوم المساعدة ، فيعد اللغات من اهمها واكثرها ضرورة ، فالترجمات وان كانت كافية للثقافة فليست تكفي للتغلغل في تاريخ عصر ما . ثم يعد الفيلولوجيا من العلوم المساعدة الضرورية ، فان اللغة ليست علامات جبرية ثابتة للدلالة على كميات ثابتة بل هي كائن حي يتغير ويتطور . ويعد علم قراءة الخطوط (Paleography) من العلوم المساعدة الاساسية ، فهناك انواع مختلفة من الخطوط الشرقية والغربية تبدو كالطلاسم والوقوف على كنهها ضروري جدا في التاريخ من كل اطرافه . ويعد علم الوثائق (diplomatics) من العلوم الاساسية والوثائق بالاطلاق العام تعني كل الاصول وبالاطلاق الدقيق تعني الكتابات الرسمية . وهي تستلزم معرفة لغة ومصطلحات العصر ، ومعرفة الحبر المستعمل وتركيبه والاقلام وانواع الورق ومميزاته كالالياف والعلامات المائية . ويعد الرنوك او العلامات المميزة التي تظهر على الاختام او الدروع او ملابس النبلاء والجند من العلوم المساعدة التي لها اهميتها ؛ كما يعد علم النقود والمسكوكات من العلوم المساعدة الهامة لدراسة بعض نواحي التاريخ .

ثم ينتهي الى الجغرافيا فيعدها من العلوم المساعدة الضرورية فان الارتباط وثيق بين التاريخ وبينها ، ضرورة ان الارض هي المسرح الذي حدثت عليه وقائع التاريخ فلها اثر كبير في توجيه مصائر النوع الانساني وليس من ريب في ان الظواهر الجغرافية المختلفة لها اثرها في تكوين الانسان وتكوين ملكاته العقلية وفي تكييف حياته كما ان سير المعارك الحربية يرتبط بالتضاريس الارضية واحيانا تتدخل العوامل الجغرافية تدخلاً حاسما في تغيير مجرى التاريخ ، ويورد طائفة من الشواهد مثل توقف تيمورلنك عن اوربا الى امثلة اخرى دقيقة التطبيق .

وفي اثناء هذا يقرر اتصال العوامل الاقتصادية بالجغرافيا ، واضحا ذات اثر فعال في توجيه حوادث التاريخ ، ويورد شاهدا تطبيقياً مصر والبندقية وكيف اضمحلتا بتحول طريق التجارة العالمية الى رأس الرجاء الصالح . ثم يجيء الى الادب والفن وشدة صلتها بالتاريخ فيوفق ايما توفيق ، وهو اخيرا يستحسن للباحث التاريخي الترحال والتسفار بسبيل تحري الحقائق التاريخية ص ١٢ – ٣٥ .

وهكذا يمضي المؤلف في عرض معلومات منهج البحث التاريخي عرضاً دقيقاً وحذراً ، وهو ينتقل في مراحل البحث انتقالاً طبيعياً جدا ، جامعاً عليه دقة الاخذ بالموضوع وطلاوة الاداء في الاسلوب ، كما نعثر هنا وهناك في غضون الكتاب على نتائج استقل المؤلف باعطائها ، مثل هل تنازل المتوكل العباسي عن الخلافة للسلطان سليم العثماني ام لا ص ٢٢٦ – ٢٣٠ ، ومثل مناقشته رأي الدكتور رستم فيما مال اليه من ان رحلة الامير فخر الدين الى ايطاليا ليست من تأليف الخالدي ص ٩٦ – ١٠٣ .

والكتاب بعد هذا يعبر عن حاجة وضرورة ، ويوفق المؤلف كثيرا الى الوفاء بها ، في احسان غير قليل يحمل على التقدير والاعجاب .

عبد الله العلايلي

فرنسا المحاربة

لاندريه موريز – تعريب ميشال اسمر – منشورات المكشوف بيروت

للقارىء علي ان اكون صريحاً ، فقد كنت آمل ان اقرأ للاستاذ اسمر ما اعتقد انه اقدر عليه واكثر تعلقاً به ، والادب عنيت ، ولا يزال ذلك الامل يعمر صدري !

اقدم للكتاب بهذا القول لاني استغربت كما استغرب الذين يعرفون مؤلف « يوميات ميشال سرور » كيف يعالج امثال هذه المواضيع التي لا علاقة لها البتة بالادب ؛ لاني توهمت اول الامر ان كتاب فرنسا المحاربة هذا لا يبعد في كثير او قليل عن الكتب التي تنشرها مكاتب الدعاية في

كل مكان ، حتى قرأته فاذا بي اجد ما لا يجوز لمثقف ان يجهله عن حركة الجنرال دي غول .

يبدو لي ان الامر ايسر مما نظن ؛ فالحركة الفرنسية الحرة سابقاً ، المحاربة اليوم ، هي في الحقيقة حركة قوامها ارادة رجل فرد ، اجتمعت فيه شتى الموهلات لتمثيل النزعة الديمقراطية والتعبير عن الحمية الوطنية في فرنسا الا وهو الجنرال دي غول .

واعتقد ان الحركة الفرنسية المحاربة تستمد قوتها من روح ذلك الرجل الذي آمن به رجل الساعة مستر تشرشل واعتمده ممثلاً لكل متطوع من الفرنسيين لخدمة القضايا التي تحارب في سبيلها الديمقراطيات . وقد بدأت الحركة بفرد وانتهت موخرا بالوحدة التامة او كادت

ذكر الكاتب كثيرا من آراء الزعيم الفرنسي وطرفاً من اعماله المجيدة من رفضه التسليم للعدو وجمعه القوى الفرنسية الحرة واعلانه متابعة القتال وبث روح المقاومة ضد العدو المجتاح بين كافة الشعب الفرنسي ، كما شرح علاقات فرنسا المحاربة بمختلف الامم المتحـدة ، وتطور الحركة الذي ادى الى اعتراف كبريات الدول بها ، واعتبارها ممثلة لروح الشعب الفرنسي ونزعاته ، كما وصف البلاد المناضلة عن الامبراطورية الفرنسية والمنضمة الى حركة الجنرال دي غول ذاكرا مساحتها واهميتها . وقد انهى الكتاب بالاشارة الى ان فرنسا المحاربة امينة على الديمقراطية الفرنسية وانها ليست حركة عسكرية فحسب ولا هي بالحزب السياسي بل ان غايتها الرئيسية هي اعادة سيادة فرنسا وسلامة اراضي امبراطوريتها واعلان الاخاء والمساواة وخذلان الفاشيستية ، والبقاء تحت راية الاتحاد مع بريطانيا العظمى في حرب التحرر والمقاومة الاوروبية الجبارة ضد العدو ، واميركا العاملة بلا انقطاع على انتصار الخير على الشر ، وفرنسا نفسها بما يتعلق بكرامتها وعظمتها .

ولا احب ان اختم الكلمة قبل الاشارة الى ان تعريب الكتاب لم يكن موفقاً كل التوفيق ! وان لغته موفقة الى حد بعيد لولا بعض الهنات كان بوسع المعرب تحاشيها !

وقد كادت تتحسنات الكتاب لو اضيف اليه مصور جغرافي بياني للمقاطعات والجزر والبلاد التي انضمت الى فرنسا المحـاربه لا سيا وان كثيرا منها غير معروف من عامة القراء !.

ا م .

في يقظة الوجدان

للاستاذ نعمان ماهر الكنعاني – ٨٠ صفحة – مطبعة الفيض بغداد

هذه مجموعة شعرية للاستاذ نعمان ماهر الكنعاني تضم قصائد متنوعة الموضوعات غير ان اكثرها من الشعر العاطفي الذي يصف اهواء النفس وحياتها العاطفية .

وهذه الحياة العاطفية – كما يبدو من مجموعة « في يقظة الوجدان » – اصبحت ذكريات ودخلت في التاريخ ، وكل الاثارات الشعورية والغرامية التي يصفها شعر الكنعاني او يتحدث عنها ما هي الا حديث عن الماضي وتذكر لايام الهوى ، ثم رجاء في ان تعود تلك الايام وان لا تكون حلما تلاشى بما فيه . . .

عاودته الذكرى ، وليس غريباً ان تعود الذكرى فتى مشتاقاً

. . اين – سومحت اين – ما كان بالأمس أحلما قد انتهى اخفاقاً

ولا يرى الكأس حتى يديرها نخب لذات ماضيات :

أدرها نخب ايام طوى لذتها الامس
لأسمعها اناشيد فوءاد هاجه اليأس
كماأوحت لي الذكرى كما جاش به الحس

ويتذكر الزمان الحلو والايام الجميلة فيعيش في الماضي ويقول :

تذكر زماناً كلما جئت طالباً وجدت كوءوس الحب بالحب تترع
الا تبعث الذكرى لقلبك رقة فـذكراك في قلبي توءج وتلذع
ألم يـك للماضي بنفسك موضع فكلي الى الماضي الذي ضاع موضع

ويستعيد هذه الذكريات قائلاً لنفسه :

لعلك في الذكرى تسلين فبرتوى بكاسك ظمآن بخمرك يطمع

وصحيح ان الذكريات نار تصلي النفس :

جفوت فأين الذكريات ونارها لتصل كياني انه متجلد

وتثير كذلك في النفس الكآبة والالم :

الذكريات وكم تثير من الاسى والاحتراق
ولكنها على كل حال فيها : . . . حنين كأسه حلو المذاق

وقد يتساءل القاريء عن هذه الذكريات التي يطفح بها الديوان ، فيجيب الشاعر على ذلك عندما يتحدث عن شجونه انها :

تثور فتبعث الذكرى وما الحب سوى الذكر

طبعاً عند من اصبحت حياته ذكريات . . .

واذا زار الشاعر معرضاً للفن اقيم في بغداد فلا يعجب الا برسم فاتنة هيفاء جالسة امام موقدها ، ولا يعجب بها الا لانه رأى فيها امرأة تقرأ رسالة وتتذكر ايامها الحلوة وتعيش بفكرها في تلك الايام .

ولعل احب الذكريات قد قيد الشاعر حتى في الموضوعات الخارجة عن ميدان الحب والهيام فإذا ما وقف على اطلال سامراء لم يجد فيها الا ذكرياتها الطافحة بالمجد والعزة .

والذكريات مهما كانت لذيذة حلوة ، او لانها كانت لذيذة حلوة ، تثير في النفس شيئاً من الالم والاسى تتشح به هذه المجموعة الشعرية .

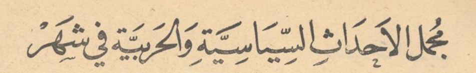
وبالرغم مما في بعض القصائد من ضعف ، ومما في اسلوب الشعر من التواء ، فإن ثمت مقاطع رائعة تدل على شاعرية خصبة كما نرى في « بعدما تمرد القلب » وفي بعض التواشيح وفي « شيطاني » .

الدفاع عن موسكو

نقله الى العربية الاستاذ مصطفى كامل منيب – ٤٦ صفحة – القاهرة

مرت معركة موسكو بين الجيشين السوفياتي والالماني في اربع مراحل ففي المرحلة الاولى لم تكن المعركة سوى هجوم الماني عنيف يستند الى استعداد قوي ، يبدأ من اول تشرين الاول الى العشرين منه من سنة ١٩٤١ . ولكن سرعان ما تغيرت الاوضاع فوجد شيء من التوازن بين القوتين المتحاربتين وان كانت حرية المبادرة في جانب الالمان . ثم بدأ الالمان في ١٦ تشرين الثاني بهجوم جديد تحرجت به حالة الروس غير ان هذا الحرج اخذ بالزوال رويدا رويدا حتى اصبحت المعارك تدور في مصلحة الجيش الاحمر . واخيرا اخـذ الروس منذ ٦ كانون الاول يقومون بالهجوم المضاد الذي اضطر الجيش الالماني الى الانسحاب .

والكتاب هو مجموعة مقالات نشرتها صحيفة « البرافدا » تصف وصفاً مفصلاً الحالة المعنوية والحربية التي كانت في روسيا في ذلك الوقت



روما ١ آب – قبل الملك فكتور عما نوئيل استقالة الكونت شيانو سفير ايطاليا لدى الكرسي الرسولي .

لندن – استسلمت الجزر الصغيرة الثلاث بافينابا وليفنترو وماريتمو للقوات الحليفة دون قيد ولا شرط . وتقع هـذه الجزر في الغرب الاقصى من صقلية . بيروت – اصدر فخامة سفير فرنسا المندوب العام في سوريا ولبنان قرارا حدد فيه عدد مقاعد مجلس النواب اللبناني القادم بـ٥٥ مقعدا

الاسكندريه – بدأت المباحثات التمهيدية لعقد مؤتمر الوحدة العربية بين رفعة النحاس باشا رئيس الحكومة المصرية وفخامة نوري السعيد باشا رئيس الحكومة العراقية . لندن ٢ – قامت لاول مرة أسراب عديدة تشكل مئتي طائرة من طائرات ليبراتور بغارة على آبار البترول في بلوستي في رومانيا .

لندن ٣ – خاض الجيش الاميركي السابع غمار معارك ضارية بالسلاح الابيض في وسط صقلية واحتل مدن : سان ستيفانو وميسراته واسودو ونيسوريا .

لندن – تلقت مدينة هامبورغ في الاسبوعين الماضيين أكبر نصيب من غارات السلاح الجوي الملكي ، وكانت الغـارة الاخيرة أشدها فقد هاجمت القاذفات البريطانية الاهداف الصناعية فيها واحدثت فيها اضرارا فادحة .

لندن ٥ – سقطت مدينة قطانيا ثاني موانئ صقلية بعد باليرمو في ايدي الحلفاء فقد دخلت طلائع الجيش الثامن المدينة في الساعة الثامنة والنصف صباحاً بالرغم من الالغام الكثيرة التي بثت عند مداخلها . وهكذا دخلت معركة صقلية مرحلتها الاخيرة بسقوط قطانيـا . وكذلك اعلن رسمياً ان باترنو قد احتلها الحلفاء وهي تقع على خمسة أميال ونصف من اورانو ، وهي مفتاح شبكة دفاع المحور .

موسكو – دخلت القوات الروسية مدينة اوريل وقد استولت عليها هـذه القوات بعد ان دارت معارك عنيفة في شوارعها بين الحامية الالمانية التي تعد بمثابة المؤخرة وتقدر بنحو ٥٠ الف رجل وبين القوات الروسية التي دخلتها من الشمال والجنوب .

موسكو – قضت القوات الروسية الزاحفة من سهول فورونيج على مقاومة الالمان واستولت على مدينة بيالغورود التي تقع عند نهاية نتوء كورسك الجنوبي وكانت قد سقطت في يد الالمان منذ بدء هجوم الربيع عندما استولى الالمـان على خاركوف . وهي تبعد خمسين ميلا عن خاركوف .

لندن – وجه الحلفاء انذارا الى الشعب الايطالي والقواد الايطاليين ، ينذرونهم فيه بأن تأخرهم في الخروج من الحرب وارسال التعليمات السريعة الى القواد الايطاليين في البلقان سيكون له عواقب وخيمة قريبة الوقوع . بيروت – هبطت اسعار الذهب فبيع الجنيه الاسترليني بخمس واربعـين ليرة سورية ونصف الليرة ، وقد حدث ذلك بعد ان طرح بنك سوريا ولبنان كميات من الذهب في الاسواق بسعر ٤٥ ونصف لمكافحة المضاربة بالذهب .

واشنطن ٦ – استولت القوات الاميركية على مطار موندا في جورجيا الجديدة ، وهكذا انتهت المقاومة اليابانية في هذه الجبهة .

القاهرة – انتهت المحادثات الجارية بين النحاس باشا ونوري السعيد باشا حول قضية الوحدة العربيـة ، وقد اصدر الفريقان المتباحثان بياناً مشتركا وصفا فيه سير المحادثات ومراحلها واتفاقهما على وضع الاسس العامة التي سيعقد المؤتمر المقبل لدرسها وتقريرها .

لندن ٧ – احتلت قوة بحرية برية اميركية جزيرة اوستيكا الواقعة على بعد ٦٠ ميلا شمالي غربي باليرمو واسرت هذه القوة الحامية الايطالية وقوامها نحو ١٠٠ جندي وبحـار . الاسكندرية – أجل المؤتمر الطبي العربي السادس الذي كان مزمعاً عقده في بيروت ٢١ آب الى كانون الاول القادم على ان يعقد في القاهرة . موسكو ٩ – احتلت القوات السوفياتية مدينة ليبدكا الواقعة على بعد ١٩ ميلا شمال غربي اوريل .

كيبيك ١١ – وصل المستر تشرشل الى كندا ، وسيعقد اجتماعاً مع الرئيس روزفلت بعد ان يتحدث الى ماكنزي الوزير الكندي الاول .

لندن – توغلت القاذفات البريطانية في سماء المانيا وهاجمت نورمبرغ مدينة الحزب النازي ودامر مراكز المواصلات في جنوب المانيا .

لندن ١٣ – هاجمت قوة كبيرة من القلاع الاميركية روما واستهدفت احواش البضائع في (ليتوريا) و (سان لورنزو) وقد دلت التقارير على ان الاضرار التي لحقت بروما كانت فادحة جدا . لندن – اغارت قوات بريطانية جوية كبيرة على تورينو وميلانو بعنف لم يسبق له مثيل .

لندن – احتل الروس مدينة شوغويف في جنوب خاركوف الشرقي . بغداد – وصل فخامة نوري السعيد باشا رئيس الوزارة العراقية الى بغداد على متن احدى الطائرات العراقية آتياً من مصر وفلسطين . وقد توجه فور وصوله الى قصر الزهور حيث تشرف بمقابلة سمو الوصي على عرش العراق .

كويبك ١٥ – عاد المستر تشرشل الى كويبك بعد ان جرت محادثات تمهيدية له مع الرئيس روزفلت في الولايات المتحدة .

لندن – اغارت القاذفات البريطانية على مصانع بريدا وغيرها من مصانع الاسلحة والمهمات الحربية وخطوط المواصلات في منطقة ميلانو الصناعية وقد استمرت هذه الغارة ساعة . موسكو – تغلب جنود السوفيات على مقاومة العدو في اتجاه بريانسك واستولوا على بلدة كاراشيف بعد قتال عنيف دار في شوارعها دمشق ١٧ – اجتمع المجلس النيابي السوري الجـديد اجتماعه الاول لانتخاب رئيسي المجلس والجمهورية ففاز برئاسة المجلس معالي الاستاذ فارس الخوري . ثم انتخب فخامة شكري بك القوتلي رئيساً للجمهورية السورية .

لندن – انتهت معركة صقلية وسقطت مسينا آخر معقل للالمان فيها ، بأيدي الحلفاء ، وكان اول من دخل المدينة الفرقة الاميركية الثالثة التابعة للجيش الاميركي السابع . كويبك ١٨ – قررت بريطانيا العظمى والولايات المتحدة الاعتراف باللجنة الوطنية الفرنسية .

دمشق ١٩ – شكل دولة سعدالله بك الجابري الوزارة السورية على الشكل التالي :

سعد الله بك الجابري للرئاسة . جميل مردم بك – للخارجية . لطفي الحفار – للداخلية . نصوحي البخاري – للدفاع الوطني والمعارف . خالد العظم – للمالية . مظهر باشا رسلان – للاشغال العامة والاعاشة والتموين . الدكتور عبد الرحمن الكيالي – للعدلية . توفيق شامية – للزراعة والتجارة

كويبك – وصل الى كويبك المستر ايدن وزير الخارجية البريطانية يرافقه المستر كادوغان وكان قد وصل اليها المستر براكن وزير الانباء البريطانيه . وقد بدأت المباحثات في مؤتمر كويبك بين الرئيس روزفلت والمستر تشرشل ، وكذلك عقد رؤساء هيئة الحرب الانكليزية والاميركية والكندية من جهة ثانية اجتماعات عديدة .

لندن ٢٠ – استسلمت جزيرتا « ليباري » « واسترمبولي » الواقعتان شمال صقلية الى الحملة الاميركية وبسقوط هاتين الجزيرتين أصبحت الجزر الايطالية السبع المحيطة بشمال صقلية وغربها في ايدي الحلفاء .

لندن – استدعت الحكومة السوفياتية سفيرها في الولايات المتحدة الرفيق لتفينوف وعينت بدلا منه جروميكو القائم بأعمال السفارة الروسية في واشنطون .

لندن – قطعت الخطوط الحديدية في شمالي نابولي وشرقها من جراء الغارات الجوية العنيفة التي وجهتها طائرات الحلفاء الى ايطاليا .

لندن ٢٣ – جلت الجيوش الالمانية عن خركوف ، وباحتلال الجيش الاحمر لخركوف يسترد اعظم قاعدة ستراتيجية في جنوبي روسيا . وقد فقد الالمان على هذه الجبهة اكبر نقطة اتكاء وآخر خط دفاعي طبيعي لهم قبل بلوغ الدنيبر بـ ٢٠ ميلا الى الغرب .

واشنطن – احتل الاميركيون جزيرة كيسكا آخر معقل لليابانيين في جزر الالوشيان وقد جرى الاحتلال دون اية مقاومة .

لندن ٢٤ – ضربت القاذفات البريطانية برلين هذه الليلة بقوة عظيمة جدا وكانت هذه الغارة اعظم واثقل غارة شنت على العاصمة الالمانية منذ بدء الحرب ، وقد قذف فيها على برلين ٩٠٠٠ طن من القنابل .

كويبك ٢٥ – اختتمت اعمال مؤتمر كويبك وقد اذاع الرئيسان تشرتشل وروزفلت بيانا رسميا عن أعمال المؤتمر وقد جاء فيه ان اعضاء المؤتمر استعرضوا الحالة الحربية العامة في جميع ميادين القتال على ضوء الحوادث السارة الاخيرة . وقد قرر المؤتمرون عقد مؤتمر قبل نهاية هذا العام بين بريطانيا والولايات المتحدة .

واشنطن ٢٦ – في تقرير يتعلق بتنفيذ برنامج قانون الاعارة والتأجير صرح الرئيس روزفلت ان نحو ١٤ مليار دولار ستصرف على برنامج قانون الاعارة والتأجير في البلدان الاوربية المحررة ، ويدل التقرير على ان ما ارسل الى روسيا حتى الآن بلغ مليارين و٤٤٤ مليون دولار وقد تلقت بريطانيا حتى ٣٠ حزيران ١٩٤٣ بقيمة ٤ مليارات و ٤٥٠ مليون دولار

واشنطن – في تقرير الرئيس روزفلت حول قانون الاعارة والتأجير بعد ان عدد الامم التي استفادت من هذا القانون خلال الحملات الافريقية الصقلية اختص بالذكر فرنسا والجيش الفرنسي هذا الجيش الذي يبلغ عدده ٣٠٠ الف جندي والذي جهز بموجب قانون الاعارة والتأجير

لندن ٢٧ – اعترفت باللجنة الفرنسية للتحرر الوطني الحكومات التالية : بريطانيا العظمى ، الولايات المتحدة ، البرازيل ، كندا الاتحاد السوفياتي ، بوليفيا .

لندن – اعلنت وكالة الانباء الالمانية (د. ن.ب) ان هملر استلم امس منصبه الجديد كوزير للداخلية ولفظ خطابا اشار فيه الى التبعات التي يتحملها وهو ومعاونوه .

منشورات الاديب

لا هوادة – تأليف الاستاذ عمر فاخوري ، عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ، وهو مجموعة مقالات في الادب والنقد والاجتماع والسياسة . ثمنه ليرة لبنانية

اسبوع الثقافة في لبنان – بقلم نخبة من الكتاب . نفد

دي غول الاديب – تأليف الاستاذ جان غوليه ، نقلته « الاديب » الى العربية بعد ان نفدت نسخه الفرنسية كلها ، يبحث المؤلف فيه الناحية الادبية في مؤلفات الجنرال دي غول زعيم فرنسا المحاربة . ثمنه نصف ليرة لبنانية .

الواحة – مجموعة شعرية للاستاذ صلاح الاسير ، تمثل لونا جديداً من الوان الشعر الحديث . ثمنه ثلاث ليرات لبنانية .

مكتبة الاديب

عمر بن ابي ربيعة – للاستاذ جبرائيل جبور استاذ الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية . صدر منه حتى الآن جزءآن ، يدرس المؤلف في الجزء الاول حياة شاعر العاطفة والحب والجمال . وفي الجزء الثاني عصره والبيئات المتنوعة فيه ، ثمن الجزء الواحد ثلاث ليرات لبنانية ونصف .